

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة د. الطاهر مولاي - سعيدة



كلية الآداب و الفنون و اللغات
قسم اللغة و الأدب العربي



شعبة : الدراسات اللغوية.

تخصص: لسانيات عامة.

مذكرة تخرج لنيل شهادة ليسانس (ل.م.د) في اللغة العربية والموسومة ب :

**مصطلح المدينة في شعر المهجر
إيليا أبو ماضي (أنموذجا)**

إشراف

د/ تامي مجاهد

من إعداد الطالبتان :

- شهروري مريم.

- بن عومر نزيهة.

السنة الجامعية : _____

1440 / 1439 هـ

2018 / 2017 م

(وقل العملوا فسيرى الله عملكم ورسوله و المؤمنون) .

سورة التوبة 105.



شكر و عرفان

نتقدم بالشكر و العرفان إلى أساتذة قسم اللغة العربية – كلية الآداب واللغات و الفنون جامعة الدكتور الطاهر مولاي لتقديمهم يد العون والمساعدة من خلال النصح وتقديم الملاحظات و تواصلهم المستمر معنا. كما نقدم الشكر سلفا إلى الدكتور المشرف الذي كان له الفضل في التوجيه و إتمام هذه المذكرة على أحسن وجه.

و نوجه شكرنا و امتناننا إلى كوادر المكتبات العلمية على إتاحتهم الفرص للباحثين في الإفادة من المصادر و المراجع فضلا عن مكتبتنا بقسم اللغة العربية.

ولا يفوتنا أن نتقدم بالشكر إلى أفراد عائلتنا على تحملهم معنا العناء و التعب الشديد و المشقة – نقدم لهم خالص امتناننا كانوا نعم العون و المساعدة فشكرا من صميم القلب.

ونختتم هذا شكرا إلى كل شخص قدم لنا يد المساعدة و الخدمة في إنجاز هذا البحث و إن لم يحضرنا اسمه. فالشكر إلى الله سبحانه و تعالى.

ومن ثم الشكر إلى الجميع.

الإهداء

إلى من يخفض لهما جناح الذل

إلى من يكون العيش ناقصا من دونها

إلى والدي الذي علمني أن معنى الوجود يتجسد بالعلم

إلى والدتي التي علمتني أن الصبر يروي كل أرض ما إن أردنا لها النماء

إلى من تكون الحياة بجوارها مؤنسة، إلى سندي وحببتي جدي لأبي حفظها الله

إلى من رأيت الحياة موحشة مؤنسة بجوارها، وبقيت ذكراها في جوانحي بطارحه الأمل، إلى روح جدي لأمي.

إلى أولئك الذي أحياهم ومعهم، إلى من شاركوني الفلق في دجى هذا الدرب، وأحسوا معي بكل لحظة انكسار لابد أن يقوى أمامهم الأمل أهلي و إخوتي: عبد الله مجدوب وإخلاق.

إلى خالي وسندي عبد الكريم حفظه الله

إلى أمز أخ وصديق ابن خالتي الجيلالي

إلى زميلتي وأختي إلى صديقة دربي شهروري مريم

إلى كل من بذل جهدا وعمرا في سبيل نجاح هذه المذكرة

* بن عومر نزيهة

*BENAOUMEUR Naziha

إهداء

إلى أمي ثم أمي ثم أمي

عندما تبتعد عن حبه صادق وفيّ ، عن حزن دافئ ليس له مثيل عن إحساس مرهف
وقلب يعطي بلا مقابل بدون كلل أو ملل نجد هذه الصفات تجتمع معا في
شخص واحد في هذه الدنيا و هي الأم ، فما أعظم الأم وما أكبر قدرها ، هي أمي
و أممي و إيماني و أمتي ، أهديك فرحي وسروري ونجاحي فهذا نتاج تعبك و
سهرك و قلقك علي أحبك.....

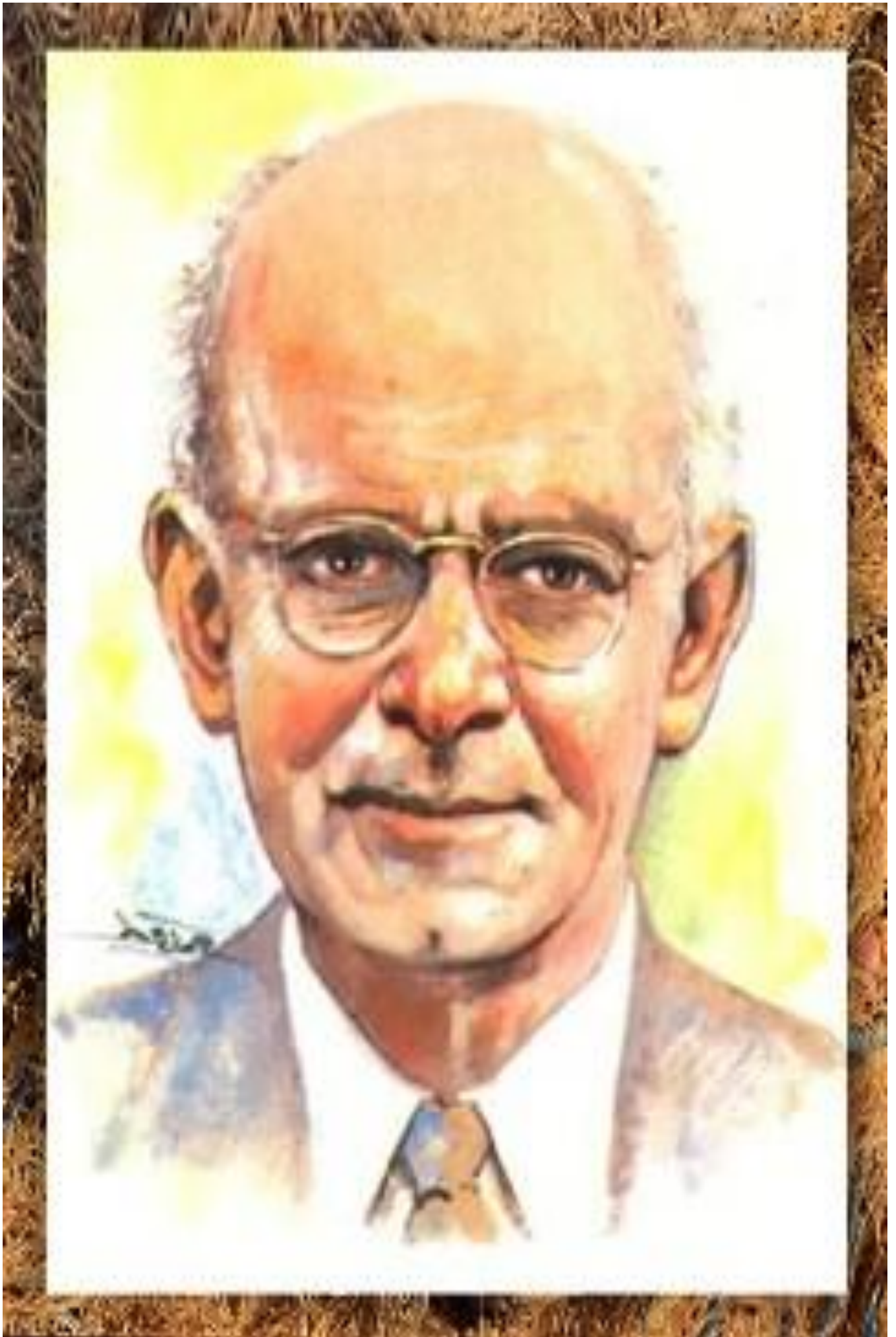
أهدي فرحتي إلى أختي وأخي محمد و عبد القادر و إلى أختي
أحلام و أخي عبد الرزاق.

أهدي فرحتي إلى جدي وجدتي إلى خالي مختار و شيخ إلى كريمة و مريم و رفيقة
إلى خالتي و أولادهم إلى عائلة بكرها ، إلى زميلتي و أختي و صديقة
دربي و المشوار الدراسي بن عمر نزيهة ، إلى كل صديقاتي وأصدقائي .
إلى كل من يكن لي ذرة حبه ، أحبه.

والحمد لله رب العالمين و الصلاة والسلام على أشرف المرسلين.

- شهروري مريم.

- *Chahroui Meriem*





مقدمة



مقدمة:

المدينة هي مسكن الإنسان الطبيعي ، وهي المكان الإنساني الأفضل المبني لسعادته و حياته ، شأنها في ذلك شأن كل تجمع بشري كالقريبة أو البادية في أول الأمر ، ولقد كان تكونها تلقائياً بطيئاً في المراحل الأولى ، أوجدها الناس لتكون في خدمتهم وعلى مستواهم ، أوجدها لتناسب أذواقهم و مشاربهم ، ولتساعدهم على العيش وتحميتهم من العالم ومن أنفسهم و المدينة بوصفها ظاهرة مكانية خاضعة للتطور زمني و ذات وظائف حياته مسطرة قبلياً ، ركز عليها الأدب المعاصر وشحنها برموز و أبعاد و دلالات مختلفة ومن موضوعنا الأساسي طرح الإشكاليات التالية ، عن نشأة المدن و مفهوم هذا المصطلح في الشعر العربي المعاصر ، وكيف عالجت ظاهرة المدينة في الشعر المهجري ؟ وهل استطاع إيليا أبو ماضي أن يرصد واقع المدينة ؟

وبناء على ذلك بدأنا هذه الدراسة بمدخل جمعت فيه كل المراحل التي مر بها مصطلح المدينة عبر العصور. و اندرج تحت هذا التمهيد ثلاثة فصول قسمت إلى:

الفصل الأول: بعنوان مصطلح المدينة، تفرع إلى أربعة مباحث حيث تضمنت مفهوم مصطلح المدينة و نشأة المدن و نموها، موقف المفكرين من المدينة و أهمية المدينة في الشعر العربي الحديث.

أما الفصل الثاني فقد كان صلة الوصل الوسطى بين الفصلين بعنوان شعر المهجر حيث يعتبر هذا الأدب بشكله العام تحولاً بارزاً في تاريخ الأدب العربي فهو نتاج خصيب مترع بالجمال و العذوبة و الذي خلفه الكتاب و الشعراء اللبنانيون و السوريون الذي رحلوا عن أوطانهم لأسباب مختلفة ، و استقروا في ديار الاغتراب في مطلع القرن التاسع عشر ، وكانت أهم البلدان التي توطن فيها الأدباء المهجريون مدينة نيويورك و البرازيل و الأرجنتين وقد ضمتهم جمعيتان هما " الرابطة القلمية " في نيويورك و " العصبة الأندلسية " في ساو باولو بالبرازيل ، و أسهمت كل واحدة في

تكوين مدرسة مهجرية أدبية مستقلة و وهذا ما فصل في مباحث الفصل الثاني
أما الفصل الثالث قسمناه إلى قسمين تطبيقي ونظري تكلمنا فيه عن أبرز شعراء المهجر
الشمالي " إيليا أبو ماضي " الذي تميز بالتححرر التام من قيود القديم، والأسلوب الفني
و الطابع الشخصي المتميز ، وعمق الشعور بالطبيعة و الحنين إلى الوطن و الغنائية
الدقيقة في الشعر .فقد مر شعره بمرحلتين اثنتين هما مرحلة التقليد و مرحلة التجديد و
هذا ما نكتشفه في الجانب التطبيقي الذي يضم المدينة في شعره.

وفي هذا المزيج المتكامل بين الفصول الثلاثة استعنا بعدت مراجع أهمها كتاب
قادة عقاق بعنوان دلالة المدينة " في الخطاب الشعري العربي المعاصر " وكتاب هاني
الخير بعنوان " إيليا أبو ماضي شاعر الحنين و الأحران " ، و كتاب سامي يوسف أبو
زيد "الأدب العربي الحديث (الشعر)" وغيرها من الكتب القيمة.
ومنه أردنا أن نطلعكم على دراسة جديدة في جانب جديد من جوانب إيليا أبو ماضي
شاعر الحنين على الرغم من تواضع هذا العمل و صعوباته المتمثلة في قلة مراجع
الفصل الأخير إلا أننا استطعنا بفضل مجهودات ذاتية و مساعدة و توجيهات إشراف أن
ننهي ما بدأت به أقلامنا بعون الله و مقدرته .



مدخل



-عوامل نشأة المدينة في التراث العربي و الإسلامي :

1-غياب المدينة في الشعر الجاهلي :

لم يكن الشاعر الجاهلي يبكي حضور المدينة بقدر ما كان يبكي غيابها و لم يكن يبكي ثقل عمرانها وكثافة بشرها ، بقدر ما كان يبكي أطلالها الدراسية و خلوها من أهلها ، يتجلى هذا من خلال البرهة الطللية ، التي هي – بحق تعبير صميمي عن لحظة الوعي العربي الحضاري أو لتنتقل لحظة الوعي بغريزة الموت التي تدب في أوصال الحياة بصمت ، ففيها تتجلى معاينة التخريب الذي حل بالكون و الإنسان ، فأباد عمرانها و أدرس ما شيده و هنا يتحول الوقوف على الأطلال إلى وقوف غريزة الحياة، التي يمثلها الشاعر في وجه غريزة الموت التي يمثلها الجذب و القحط الطبيعي و غياب العمران و كذا الكبت الجنسي ، على اعتبار أن الجنس هو رمز الحياة و ازدهار عمرانها فشعراء الجاهلية لم يبكوا بين الأحبة بقدر ما بكوا خلو الديار من أهلها ، و كأن نفس الشاعر البدوي كانت تتوق و تتطلع إلى استقرار حضاري ، طرفة بن العبد يرمز بخولة إلى المرأة بمنحى شمولي و بديار خوله إلى الأرض.

فالأرض العامرة مرتبطة بالمرأة ، وهذه الأخيرة هي رمز العطاء و العمران و التواصل ، و لذلك فرحيلها عن المكان - أو منع الشاعر من التواصل بها – يعني إندراس معالمه و تحوله إلى أطلال منهزمة خربة – وبناء عليه ، فالهدم الذي أصاب الحضارة – من جراء قمع المرأة و ديمومة ترحيلها – لابد أن يفضي إلى التشرذم الجماعي ، وهذا التشرذم هو ما يؤرق الشاعر الجاهلي ويدفعه إلى نزعة نحو معطى متحضر و مستقر¹

: دلالة المدينة في الخطاب الشعري العربي المعاصر ، قادة عقاق ، من منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق ، 2001 -ص28-29

- فكرة المدينة في صدر الإسلام :

أ - القرآن الكريم : وإذا نحن حاولنا تتبع تطور منحنى " فكرة المدينة " في عصر صدر الإسلام كان لازماً علينا أن نبدأ بالقرآن الكريم الذي جاء بالإسلام فكان تنويراً لبنى العرب الفكرية ، وخلخلة لمعتقداتهم الراسخة ، وقلبا للموازن رأساً على عقب ، وتغييراً لرؤى ، فستقر الناس بعد اضطراب و ترحال ، و أمن بعد خوف ، فتكونت الحواضر وتأسست المدن و أرسيت مقاليد الحكم .

و لذلك فإن لفظة المدينة في القرآن الكريم ترد كمفرد للفضة (القرية) ، و هي مركز السلطة و مستقر الحكام ، و غالباً ما يكون هؤلاء جبابر ضالين قاهرين لكل مؤمن بالله¹ يقول تعالى " فأتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ما غشيهم و أضل فرعون قومه و هدى " .²

و المدينة مركز التجارة و البيع ، يقول عز و جل " فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاماً فليأتكم برزق منه " ³ ، و لكن صفات أهلها و سلوكهم الضال يستدعي الحذر و يقضي التلطف و بخاصة بالنسبة للمؤمنين و لقوله تعالى " وليتلطف و لا يشعرن بكم أحداً إنهم إن يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا إذن أبداً " ⁴

ب - مصدر الحديث : وتأتي الأحاديث الشريفة متماشية مع روح التنزيل في النظرية إلى القرية " المدينة " و " المدينة " و الموقف المحذر منها ، و لا غرق في ذلك فالسنة الطاهرة بيّات للقرآن الكريم و تفصيل لما أجمل منه ، و هناك الكثي من الأحاديث المروية عن الرسول صلى الله عليه وسلم فيما يختص بالمدينة ، تحذر فيها بوضوح من فساد المدن و ما يتولد عنها من المعاصي⁵ ففي غزوة تبوك يروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه حذر المسلمين من دخول ثمود الفاسدة كما أثر عنه صلى الله عليه وسلم أنه

دلالة المدينة في الخطاب الشعري العربي المعاصر من منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق 2001 ص 29-30.¹

² : سورة طه ، الآيتان ، 78-79.

³ : سورة الكهف ، الآيتان ، 18-19.

⁴ : سورة الكهف ، الآيتان 19-20.

: ينظر طريق الخالدي ، فكرة المدينة في صدر الإسلام ، ص 58-83- دراسات في تاريخ الفكر العربي الإسلامي ، ط 2 ، دار الطليعة ، بيروت 1979.⁵

صعد يوما إلى أعلى جبل أحد أشرف على المدينة وقال " سيتركها أهلها على أحسنها يوم القيامة "

إن المنتبغ لتوارد وتواتر فكرة المدينة في هذه المصنفات يلاحظ أنها لم تناقش من منطلق ضيق ، أم من منظور اجتماعي محدود أو بنظرة أحادية ، و إنما نوقشت ضمن اطرف واسعة و انبنت على دعائم و أسس عقائدية و أخلاقية و فلسفية و فكرية و سياسية صلبة و معيشة هذا ما يؤكد أن موضوع المدينة ضارب بجذوره في عمق التاريخ العربي كأبلغ ما يكون ، و لم يكن مجرد موضوع منبث الأواصر و الأسباب ، بل كان موضوع مناقشة جدية تتأرجح ما بين فكرة محاولة التكيف مع أجواءها و أحوالها ، بين رفضها رفضا يوم على أسباب و تبريرات مختلفة و معقولة

جـ موقف الخوارج السياسي :

ولعل أبلغ مثال و أوضحه في هذا الصدد ، هو موقف الخوارج ، أولئك الذين حبذوا الإقامة في البوادي و الفقار و رفضوا المدن رفضا قاطعا ، زاعمين أنها لا توافق طبائعهم ولا نسجهم مع نفوسهم الزاهدة في ملذات الدنيا التي توفرها المدينة ، الرفضة لتسلط الحكام و طغيانهم ، لقد كان رفضهم مبنيا على اعتبارات أخلاقية دينية ، و أسس نفسية و معطيات سياسية .

إن ظهور الحركة في صدر الإسلام و بداية الدولة الأموية – وهي فترة تمت فيها أكبر نقلة حضارية في زمن قياسي جد و جيز ، حيث تغيرت عقيدة العرب و أفكارهم ، و خرجوا من قواقع المتناهية ، و انفتحوا على عوالمهم لا متناهية فاستقروا ببلدان تختلف عن صحرائهم طبيعة و نظام معيشة و تراثا حضاريا ، جعلت من الطبيعي أن تنعكس كل هذه المتغيرات و المجريات في الشعر العربي كما عبر عن ذلك شاعرهم " دريد ابن الصمة " بصدق في قوله :¹

وهل أنا إلا من غزيتة إن غوت غويت ، وإن ترشد غزيت أرشد

و أن ليس هناك من حدود واضحة " تفضل حياته الفردية و تجاربه الخاصة من حياة قبيلته و تجاربها²

بعد أن تغيرت الأمور بزوغ فجر الإسلام فتأسست " المدينة الدولة " و صار الحاكم خليفة للجميع ، لا شيخ القبيلة ، وأصبح الفرد في خضم هذا التجمع البشري الكثيف ، يحس بنوع من الانفصال و التميز بين نشاطه الفردي في حياته الخاصة و بين نشاط

: ابن قتيبة الشعر و الشعراء ، تقديم الشيخ حسن التميم ، مراجعة الشيخ عبد المنعم العريان دار

¹أحياء العلوم 2 . 1986-ص507

: عبد القادر القط، الشعر الإسلامي الأموي ،دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت

²1979.ص293

الدولة و ما تمر به من تجارب و مشكلات وهناك الكثير من الأبيات التي تؤكد اغترابهم وتعبير عن زهدهم في الحياة و التعجب ممن يتهافتون اقتناء ملذاتها و السير لقد جعل في ركبها¹ لقد جعل الخوارج من شعرهم على الزهد الذي يمتلكهم أحيانا جمرة يوقدن بها عزائمهم و يلهبون بها حماس تابعيهم و هكذا تفاعل شعرهم مع دينامية مبدأهم ، فلا نكاد نلمس في هذا الشعر لا حنفا على السلطة و غضبا عليها ، و الحكام في شعرهم دائما كفرة جائرون من الشريعة منحرفون ، و مجاهدتهم و تطهير المدينة منهم هو مبدأ قويم ، لذلك يستمر شعرهم في تحديه و صراخه و التهابه و تجريحه ، فهم ينفون أنفسهم من مدينة الظلال و الجور طوعا ، ويستعملون ، و لكنه استعلاء على الحكام الطغاة لا على سواد الشعب المقهور ، و على الرغم من ضراوة مواقفهم السياسي إلا أن فيه " تفاؤل مثالي الذي يؤمن أن انقضاض الشعب على حكامه نهاية للظلم و الفساد ، و أن عهد العدالة و الخيرات عند ذلك ليبقى ويستمر²

ومما يجدر ذكره أن الخوارج لم يكونوا شعراء بل كانوا مناضلي سياسة ، لذلك شعرهم راقيا من الناحية الفنية إلا أن نادرا ، فلقد كان في خدمة المبدأ ، لذلك غلبت عليهم النزعة الخطابية بالهاية الحماسي كما بلغ بذلك ذروة من ذرى أغراض الشعر السياسي الخطابي يندر أن نجد له مثلا في التاريخ العربي الإسلامي فكان شعرهم فعلا دافعا إلى فعل التغيير و الإصلاح ، إصلاح المدينة من الجور و الفساد و تخليصها من الظلام فهم لا يدانهم أحد في التاريخ القديم على حد ما نعلم في مهاجمة المدن و هجاء أهلها .

: إحسان عباس - شعر الخوارج .د. عبد القادر القد، في الشعر الإسلامي و الأموي دار النهضة العربية للطباعة و النشر بيروت، 1979ص375 وما بعدها .

:جبرا إبراهيم ، النار و الجوه ، دراسات في الشعر ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، ط3²، ص1982 ص21.

- حضارة التمدن في العصر العباسي:

أ- في الإبداع الفني:

لنقف قليلاً لنلقي نظرة سريعة على العصر العباسي، محاولين التعرف على واقع المجتمع والمدينة وحال الناس فيها وموقفهم منها والعصر العباسي كما هو معروف تاريخياً عصر الازدهار الحضاري والتطور الاجتماعي وبلوغ المدينة أوج مراتبها وما نتج عن ذلك من طغيان عمراني وتكديس للأحياء وكثافة بشرية واختلاف في الاتجاهات ووجهات النظر وفقدان لتمامك الصلات وتصدع العلاقات وتعقدها وتزعزع القيم، ومن ثم تيه الذات وشعورها بالقهر والمحاصرة. الأمر الذي خلق ردت فعل قوية في نفوس الناس أرغمتهم على أن يقفوا موقف الحائر المتسائل عما طرأ في حياتهم من تغيير، وما أصابها من تمهيد.

وقد تراوحت هذه الردود ما بين الرفض التام لما هو قائم والسخرية منه والتعالي عنه، وهذه المواقف كانت بمثابة المنفى بالنسبة لأصحابها، اختاروها أحياناً طائعين مستعجلين وأحياناً كثيرة مرغمين، تحت وطأة الإحساس بالقهر والتهميش فهم يحيون في زمن (القرود) كما عبر أبو نواس ويعانون (صدأ العيش) كما يقرر أبو تمام.¹

وهذه لاشك سخرية بكل ما يحيط بالشاعر، ولكنها سخرية مريرة تحمل دلالة أعمق عن شعور متأصل بفقدان القيم الحقيقية في الحياة، كما تنبأ عن إحساس متضخم بالغربة والانفصال أو بعبارة أخرى تعبير تراجيدي عن خلل روحي من أركان المجتمع وأصاب كيانه وقتته.²

¹ أدونيس: مقدمة للشعر العربي: دار العودة، بيروت، الطبعة الرابعة ص 38-39.

² المرجع نفسه ص 40.

ب- في الفكر الفلسفي، المدينة الفاضلة للرئيس الفاضل:

كان عصر الفرابي عصر مدينة وحضارة، كما كان أيضا عصر اضطرابات وهزات سياسية ولذلك جاءت معظم كتبه ذات منحى سياسي ومنها كتابه الأساسي في السياسة المدنية (آراء أهل المدينة الفاضلة) ولقد كان هذا الكتاب الذي ألف في القرن العاشر الميلادي سببها إلا حد كبير في خطته وأفكاره بكتاب الجمهورية لأفلاطون وعلى الرغم من أن تشريعات أفلاطون في جمهوريته تحمل الكثير مما يتناقى ومبادئ الدين الإسلامي.

والمدينة الفاضلة، في رأي الفرابي هي "المدينة التي يقصد بالإجماع فيها التعاون على الأشياء التي تنال بها السعادة الحقيقية"¹.

المدينة الفاضلة، فاضلة بآراء أهلها وحسن نيتهم مهما كانت تجريدية تضاف إليها بعد ذلك، الأفعال العملية المحققة و المجسدة لتلك الآراء على أرض الواقع، فلا سعادة لأهل المدينة في رأي الفرابي إلا بتعاونهم الجاد على بلوغهم سعادتهم بالفكرة الموحدة أولا وبالعمل ثانيا، لأن الفكرة مهما كانت ميتافيزيقية أو تجريدية ورغم أنها تقع ضمن الفروع النظرية من الفلسفة، فلها علاقة مباشرة بحياة الإنسان المدينة وسعادته (...). فسعادة الإنسان القصوى وكمالته يوقفان ليس فقط على أفعاله بل وهو الأهم على آرائه أيضا².

ولذلك فليس من قبيل المصادفة أن يسمي الفرابي كتابه هذا ، الجامع لشروط تحقيق العدالة والفضيلة والسعادة وبعبارة أخرى سياسة الحكم والحياة ب"آراء أهل المدينة الفاضلة " .

¹ الفرابي: آراء أهل المدينة الفاضلة ن دار المشرق ش م م بيروت الطبعة الخامسة 1986 ص 118

²الدكتور/فوزي ميري نجار :مقدمته : لكتاب السياسة المدنية الملقب بمبادئ الموجودات المطبعة

الكاثوليكية ، بيروت 1964 ص 15

4-صورة المدينة في الحضارة الأندلسية :

فإذا كان هذا حال العصر العباسي وموقف شعرائه ومفكريه من الحياة فيه ، فكيف يكون موقف الناس من الحياة في الأندلس ، ذات البناء المعماري ، والطبيعة الخلابة وما صاحب ذلك من ترف ولهو لم يشهد له العرب مثيلا ن في بيئته الأصلية (الشام وولحجاز).

أ - الموقف الايجابي من المدينة :

لقد بلغت الأندلس من الحضارة والمدنية ، ما لم تبلغه بلدة من البلدان التي سكنها العرب المسلمون ، أو استوطنوها فاتحين ، فقد أجمعت المصادر القديمة والدراسات الحديثة ، على أن بهجتها وخصوبة تربتها وفتنة عمرانها ، واتصال مدائنها تفوق كل وصف حتى لأنها غدت ذرة الزمان وجنة الأرض وفتنة الدهر يتشوق إليها كل من حدث عنها أو بلغ أخبارها ، أو قرأ أوصافها في شعر شعرائها ، أو استمع إلى زائريها من الشعراء الآخرين ، ويتسابق في التوافد عليها ن كل من هيات لهم أسباب ذلك .ومما قاله ابن سعيد المغربي واصفا إياه ما يلي : "ميزان وصف الأندلس أنها جزيرة قد أحدقت بها البحار ، فأكثرت فيها الخصب والعمارة من كل جهة ، فمتى سافرت من مدينة إلى مدينة ، لا تكاد تنقطع من العمارة ، ما بين قرى ومياه ومزارع " ¹.

فالطبيعة بالنسبة لهم امرأة حسناء ، بكل ما تثيره هذه المرأة من فتنة ، وزهو ، وشهوة ، ولذة ، كما رأينا عند ابن خفاجة ، وكما هو الحال عند ابن صارة ، يصف نهرا بمائه العذب .

¹ المغرب في حلي المغرب - ملامح الشعر الأندلسي لعمر الدقاق ، ص 8-9

إذا في هذا الجو المدني المترف ، والطبيعة الخلابة ، نال العرب الوافدون من الخير والنعم ، ما غير حياته كلية ، وقلبها رأسا على عقب ، فانعكس ذلك في نفوسهم رقة وفي أزيائهم تأنقا ، وفي مطعمهم ، ومشربهم انتقاء ، وفي مجالسهم تظرفا ، وتأدبا ، وليونة ، بل وميوعة في بعض الأحياء ، كما انعكس في شعلا شعرائهم ، عذوبة وسلاسة ، وألّفوا هذه الحياة الوادعة السهلة ، فارتبطوا بتربّتها ، وتغلغل في نفوسهم جذور حبها ، حتى أنهم لم يطيقوا مفارقتها ، وبقوا على ذلك زمن غير قصير .

هكذا دارت عجلة الزمن وصار حسن حال الأندلس العربية المسلمة إلى أسوأ حال حيث كانت الدورة :فتح ، وتمركز ، فقوة وحضارة ، ثم تشتت وتناحر وضعف وفساد فسقوط ، بهذا أصبحت هذه المدن التي ارتبط العربي بأرضها من أعماقه وتجدرت في كيانه نهبا لغربان البربر والصليبيين ،فقاومت بكل بسالة ولكنها سقطت في الأخير فيما ليس منه بد ، وصارت بعد هذه الهجمات الشرسة أثرا ، كما أتى على وصفها ابن حزم بمرارة بليغة وحزن عميق و أسى بليغ في كتابه " طوق الحمامة " فيقول : ولقد اخبرني بعض الوارد من قرطبة وقد أمحت رسومها وطمست أعلامها ، وخفيت معالمها ، وغيرها البلى ، وصارت صحاري مجدبة بعد العمران ... وكان ليلها تبعا لنهارها في انتشار ساكنيها ، فعدى نهارها تبعا ليلها في الهدوء والاستيحاء فأبكى عيني ، فأوجع قلبي وقرع صفاه كبدي¹ .

¹ علي ابن حزم، طوق الحمامة، القاهرة، 1967 ص 94

ب-الموقف السلبي من المدينة:

ولكن على الرغم من هذا التغني الكبير بمفاتن الأندلس، والحنين الجارف إليها بعد السقوط والارتباط العميق بها إلا أن هناك نفوس لم تكن لترضى عنها ولا بوضع الحياة فيها، ولا الأخلاق التي تسودها. فحياة القصور والنعيم والترف لم تله الشعراء عن النظر إلى الجانب المعتم من الحياة، ولم تلهمهم الحبور والغبطة وحدها فقط، كما أنها لم تلهمهم عواطف رخوة، وتغافلا عن التفكير في المصير بل أوحى عليهم بشعر ينم عن قلق عميق مما آلت عليه الحياة، ويترجم عن وجدانية يكاد اليأس يكون طابعها الرئيسي. لقد كانت هذه النفوس ناقمة على حياة لا هم لأحد فيها سوى "كأس يشربها وفينة تسمعه وهو يقطع به أيامه"¹، كانت تبكي القيم وسط هذا الجو لمديني المشحون بالفسق والمجون والتهاك الأخلاقي، والخلاعة والعبث الجريء، الذي جاء كنتيجة لكثافة التمرکز البشري وتباين أفراد المجتمع و اختلاف اتجاهاتهم وتعدد مشاربهم وضعف الوازع الديني في نفوسهم، فكان مجتمعا هش البناء، قليل الاستقرار، كثير الهزات سريع العطب، فاضطربت النفوس وتخوفت، وشاع في الأفق قلق كبير، أدى بالأندلسي إلي "البحث عن الاستقرار بشتى وسائل أو على الأقل إلى تسكينه والتخفيف من حدته ولو مؤقتاً"²

حيث انعكست فسيفساء المدينة وزخرفتها وتصنعها على المضمون الشعري فأفرغته من محتواه، وبالغت في الاهتمام بشكله، فأضحى صناعة وتأنقا ومجرد مناورات ذهنية بالكلام، وأصبحت الكلمة فيه مادة قابلة للصناعة فهي: "دمية أو حصة مزوقة لمساء ترتب مع غيرها في نسق كالعقد أو الحلية"³

¹محمد رضا الشبيلي: أدب المغاربة والأندلسيون: في أصوله المصرية ونصوصه العربية ط2ص

²د/جودت مدلج: الحب في الأندلس، دار لسان العرب، بيروت ط1، 1985، ص112

³أدونيس: مقدمة للشعر العربي ص70-71



الفصل الأول



مصطلح المدينة

- **المبحث الأول :** مفهوم مصطلح المدينة (لغة – اصطلاحاً) .
- **المبحث الثاني:** نشأة المدن و نموّه
- **المبحث الثالث:** موقف المفكرين.
- **المبحث الرابع:** المدينة في الشعر العربي الحديث.

1 - مفهوم المدينة :

أ - لغة:

جاء في لسان العرب "مدن بالمكان، أقام به، وفلان مدن المدائن، كما يقال مصر الأمصار ، والمدينة :الحصن بينى في أصطمة الأرض ، وكل أرض بينى فيها حصن في أصطمتها فهي مدينة ، والنسبة إليها مدينتين ، وجمع مدائن ومدُن¹ . ويستشف من هذا التعريف ، أن مفهوم المدينة لغة قد ارتبط بالاستقرار وبوجود قوة عسكرية تدافع عن المدينة ، توفر الحماية لساكنيها .

ب - اصطلاحا:

المدينة ظاهرة تولدت عن تفاعل مجموعة من العوامل المتشابكة لهذا لم يحدد العلماء والباحثون مفهوما واحدا للمدينة، فقد وجدت تعريفات مختلفة لها، حسب وجهة نظر كل عالم.

" فمنهم من تصور المدينة امتدادا للقرية، على افتراض أن هناك تدرجا مستمرا بين ما هو ريفي وما هو حضري² .

ومن العلماء من تصور المدينة بأنها مجتمع محلي يتميز بمجموعة مركبة من السمات، التي يمكن إدراكها، إذ حاول البعض تعريف المدينة على أنها المكان الذي أصبح من الكبر بحيث لم يعد الناس يغرفون بعضهم بعض³ . وقد رفض هذا التعريف، لأن كثير من المدن الصغيرة يعرف ساكنها بعضهم بعضا⁴

وقد عرفت المدينة في ضوء اصطلاحات قانونية : " وذلك أن مكانا ما قد يطلق عليه اسم مدينة عن طريق إعلان أو وثيقة رسمية تصدر عن سلطة عليا ، ومع أن هذا

¹ابن منظور ن لسان العرب ن مادة(مدن).ج 13 / 402

² حسين رشوان ، المدينة دراسة في علم الاجتماع الحضري ص 43 .

³ نفسه، 44، ومحمد عاطف غيث ، علم الاجتماع الحضري ، مدخل نظري ، ص 127 .

⁴ محمد عاطف غيث ، علم الاجتماع الحضري ، مدخل نظري ص 128 .

التعريف واضح جدا إلا أنه غير مرض ، لأن المكان لا يمكن أن يكون مدينة لمجرد ظهور إعلان بذلك كما أن هذا لا ينطبق على كثير من المدن الموجودة في كثير من بلاد العالم التي نشأت وتطورت دون لإعلان رسمي ، أو دون صدور وثيقة بذلك من الجهات المختصة¹

وهناك تعريف للمدينة تناوله الإحصائيون: " يقوم على الأساس العددي وحجم السكان وكثافتهم ، وهم يتخذون عددا معيناً يصبح بعده التجمع السكاني مدينة² "

وقد تناول " لويس مفروود " المدينة باعتبارها " حقيقة تراكمية في مجموعة من التراكمات التاريخية ، وفي تطورها من حيث الزمان تأخذ شكلا تتابعا من حيث الوجوه التي مرت بها ، وهي كنتيجة لذلك التتابع الزمني تعد تراكمية في المكان³ "

ويذكر " لويس ويرث " في تعريفه للمدينة " أن العالم المعاصر لم يعد هذا العالم الذي يتكون من جماعات صغيرة منعزلة من الناس ، ينتشرون على رقعة واسعة من الأرض كما كان (سمنر) يصف المجتمع البدائي ،

إن المظهر المميز لأسلوب حياة الإنسان في العصر الحديث ، هو تركيزه في تجمعات هائلة تقام فيها مراكز محددة تعمل على إشباع الأفكار والممارسات التي تطلق عليها اسم المدينة. المدينة ليست مجرد المكان الذي يعمل فيه الإنسان الحديث أو يأوي إليه بل إنها المكان أو المركز الذي يضبط ويمسك بزمام المبادئ الاقتصادية والسياسية و الثقافية

ويعتبر عالم الاجتماع الألماني "ماكس فيبر " من الأوائل الذين حاولوا تعريف محدد للمدينة ، حين يقول : " إن هناك عنصرا واحدا مشتركا بين التعريفات العديدة للمدينة هو أنها تتكون من مجموعة أو أكثر من المساكن المتفرقة ، ولكنها نسبيا تعتبر مكان إقامة مغلق وعادة ما تبني المنازل في المدن قريبة بعضها من بعض⁴ "

¹ محمد عاطف غيث ن علم الاجتماع الحضري ، مدخل نظري ص 127

² محمد أحمد غنيم ن المدينة ، دراسة في الانثروبولوجيا الحضرية ، ص 153 .

³ حسين رشوان ، المدينة ، دراسة في علم الاجتماع الحضري ص 44

⁴ محمد عاطف غيث ، علم الاجتماع الحضري ، مدخل نظري ص 134 .

فهو يرى المدينة على أنها ذلك الشكل الاجتماعي الذي يسمح بظهور أعلى درجات الفردية¹.

وهناك من ذهب إلى أن المدينة " ليست مجرد تجمعات من الناس مع ما يجعل حياتهم فيها أمرا ممكنا ، مثل الشوارع والمباني والكهرباء ووسائل المواصلات ، كما أنها ليست مجموعة من النظم والإدارات مثل المحاكم والمستشفيات والمدارس والشرطة والخدمات المدنية من أي نوع ، إن المدينة فوق هذا كله ، اتجاه عقلي ، مجموعة من العادات والتقاليد إلى جانب تلك الاتجاهات المنظمة والعواطف المتأصلة في هذه العادات والتي تنتقل عن طريق هذه التقاليد ، إن المدينة بمعنى آخر ليست مجرد ميكانيزم فيزيائي أو بناء صنعة الإنسان ذلك لأنها متضمنة في العمليات الحيوية التي تنظم الناس الذين يكونونها ، إنها نتاج الطبيعة وذات طبيعة إنسانية وعلى وجه الخصوص² "

وتعرف المدينة من ناحية اقتصادية "بأنها مكان إقامة يعيش السكان فيه على أساس التبادل والتجارة أكثر مما يعيشون على الزراعة ، ومع ذلك فليس صحيحا دائما أن نطلق على كل المحليات مصطلح المدن إذا كانت طبيعة الحياة تقوم على التبادل والتجارة لأن بعض المستوطنات تتكون من عائلات تقوم أساسا بالتجارة³ "

وأما من ناحية جغرافية ، فقد عرف (راتزل) المدينة : "بأنها مجموعة دائمة من الناس والمساكن ، تغطي مساحة كبيرة من الأرض ، توجد على مفترق الطرق التجارية الكبرى ويتبعه (فاجنر) ويقول : "إن المدن هي مواضع تركز النشاط التجاري ، وعلى الرغم من أهمية التجارة في نشأة بعض المدن ، فإن التجارة في بعضها الآخر لا تحتل إلا جانبا ثانويا من نشاطها⁴ "

¹ محمد أحمد غنيم ، المدينة دراسة في الأنثولوجيا الحضرية ص 160 .

² محمد عاطف غيث ، علم الاجتماع الحضري، مدخل نظري ص 132 .

³ محمد عاطف غيث، العلم الاجتماعي الحضري، مدخل نظري ص 135

⁴ دولت أحمد صادق ومحمد السيد غلاب ن جغرافية السكن، ص 21

وبهذا فقد اتخذ العلماء الجغرافيا مؤشرات قوى العمل، وعلاقته بالإنتاج في تحديد مفهوم المدينة.

وهذه التعريفات تؤكد أيضا أن وضع معيار واحد للمدينة يحدد من خلاله مفهومها ، لا يمكن أن يعطي مفهوما حقيقيا وشاملا للمدينة ، فلا بد من تداخل هذه التعريفات جميعا ، لإعطاء تعريف واضح لها .

2- نشأة المدن ونموها :

مما لا شك فيه : "أن المدن انبثقت تعبيراً عن ظروف روحية ومادية واجتماعية وسياسية ، كما تأثرت بمختلف التقاليد والقيم والأفكار المنظمة للعلاقات الاجتماعية ، وكذلك بوسائل الإنتاج و أسواق الاتصال ، وتطورت المدن والعمارة معها ، وانعكست صور هذا التغيير الاجتماعي على تغير المدن ونمو العمارة"¹

وتؤكد الشواهد التاريخية ، أن الحياة الحضرية ظهرت في العصر القديم ، وخاصة في المناطق التي شهدت فائضا غذائيا ، وقد ظهرت المدن القديمة في السهول أو الهضاب أو ضفاف الأنهار ، ومن هذه المدن منفس وطيبة في مصر القديمة ، ومدينة جريشيكو عند نهر الأردن ، ومن المدن القديمة أيضا مدينتا صور وصيدا ، وغيرها² .

أما مدن العصور الوسطى ، فقد قامت على أساس العمل والتجارة ، وكانت القوى الروحية الخالصة هي المسيطرة على هذه المدن ، وقد تركزت الأنشطة الدينية والسياسية لمثل هذه المدن في وسط المدينة أو مركزها³ .

وتنمو المدن في العصر الحديث نتيجة العمل الصناعي ، وتتأثر بالتغيير السريع في العوامل القومية والإقليمية ومستويات اقتصادية ومادية ودولية⁴ . رأى الباحثون أن هناك خمسة عوامل تستخدم لتفسير نمو المدينة ودرجة التحضر فيها ، وهذه العوامل هي

¹ حسين رشوان ، المدينة دراسة في علم الاجتماع الحضري ص 55

² حسين رشوان ، المدينة دراسة في علم الاجتماع الحضري ص 56، 57

³ المرجع نفسه ص 18

⁴ المرجع نفسه ص 60 .

الثورة الزراعية ، والثورة التكنولوجية ، والثورة التجارية ، والكفاية المتزايدة في وسائل النقل والثورة الديمغرافية .

- مستقبل المدينة :

لقد تشاءم الكثيرون من مستقبل الحياة في المدينة لما لها من آثار سيئة على حياة البشر ، وما تؤدي إليه من تدمير القيم الإنسانية، وإهدار لمبادئ الحياة الكريمة ، وانحطاط النفس الإنسانية¹.

فقد رأها (لويس مفروود) وعاء للعنف المنظم ودورا ناقلا للحرب².

أما (شبنلجر)فراها : "عبارة عن شر يدمر كل شيء ، وفي النهاية تغرق المدينة موتا في أاثامها"،ويقول : "إن مولد المدينة يحمل في نفس الوقت علامة موتها"³

ولكن بعض الباحثين يخالفون هذا الرأي ، ويرون أن المدينة : "لا يمكن أن تكون مسؤولة عن مثل هذه الكوارث ، لافتقارها إلى البديل العلمي حقيقة أن المدينة قد تسببت في وجود أنواع جديدة من الجرائم وزيادة في انحراف الأحداث ، وزيادة كبيرة في تصدع الأسر واحتمالات كثيرة للمرض النفسي والانهيار العصبي ، وقيام فرص كثيرة لظهور التفكك والقلق والاضطراب في المجال الفردي والجماعي ، إلا أن جذور هذه المشاكل جميعا ، كانت موجودة قبلا في الحياة الريفية ، وتضخمت أو ظهرت في المدينة ، تبعا لزيادة حجمها وازدحام السكان فيها"⁴.

3 - موقف المفكرين من المدينة:

اكتسبت المدينة أهمية خاصة في المنظور الفلسفي عند الإغريق فقد رأى أفلاطون أن التعاون أدى إلى نشوء مدينة استعانت بالتجارة والملاحة ، لشد حاجاتها المتزايدة ، وقد

¹ محمد عاطف غيث ن علم الاجتماع الحضري ن مدخل نظري ص 100 .

² لويس مفروود ، المدينة على مر العصور ص 821

³ محمد عاطف غيث ، علم الاجتماع الحضري ، مدخل نظري ص 100:

⁴ المرجع نفسه ص 100، ص 101.

سيطرت القناعة على سكان هذه المدينة الأولى الفطرية¹ . هذه هي المرحلة الأولى للمدينة ، أما المرحلة الثانية فهب مرحلة الانغماس في الترفن والاهتمام بالكماليات وإنشاء صناعات مستحدثة تتفق مع الحضارة ، وأجدى ذلك إلى انسداد التنافس ، وإثارة الأحقاد ، فألفت الجيوش ، وأشعلت الفتن ، واختل النظام ، وفسدت مقاييس العدالة ، وجمهور يته ترمي إلى بعث العدالة الصحيحة في مدينة ترتكز أنظمتها على الفلسفة² " وقد رأى أن الاستقرار المتكامل للمدينة هو الهدف الأعلى الذي يحافظ على الانسجام والتناسق بين السكان ، فجعل المدينة شبه مستقرة ، خوفا من تعرضها للتغير والهزات الاجتماعية والحروب الأهلية لمدينته الفاضلة ، فدعا إلى وضع التحديات الصارمة ضد زيادة النسل ، وأراد أن يتخلص من الاضطرابات الاقتصادية ، فقسم السكان إلى أصحاب الأصناف من المهن والحرف تقسيما وراثيا مغلقا ، وأرجع سبب القلق الاجتماعي إلى الروح المبدعة الروح الشعرية³ "

ويرى ابن خلدون في مقدمته أن المدن والأمصار " موضوعة للعموم لا للخصوص⁴ " . لذا فهي بحاجة إلى اجتماع الأيدي وكثرة التعاون⁵ " وأنه " لا بد في تمصير الأمصار واختطاط المدن من الدولة والملك⁶ "

ويذهب ابن خلدون إلى أن المدن قرار تتخذة الأمم عند حصول الغاية المطلوبة من الترف ودواعيه ، وتتوجه إلى اتخاذ المنازل للقرار ، ولما كان ذلك للقرار والمأوى ، وجب أن يراعى فيه دفع المضار بالحماية من طوارقها وجلب المنافع وتسهيل المرافق لها⁷ .

وقد ربط ابن خلدون خراب المدينة بفساد أهلها فقال : " وأما فساد أهلها في ذاتهم واحدا على الخصوص ، فمن الكد والتعب في حاجات الفوائد ، والتلوين بألوان الشر في

¹ عبد الشمالي ، دراسات في تاريخ الفلسفة العربية الإسلامية وآثار رجالها ص 33 .

² المرجع نفسه ص 34 .

³ السيد حنفي عوض ن سكان المدينة بين الزمان والمكان ص 51

⁴ ابن خلدون ، المقدمة ، ج 2 . ص 842

⁵ المرجع نفسه ، ج 2 / ص 844

⁶ المرجع نفسه ، ج 2 / ص 844

⁷ ابن خلدون ، المقدمة ، ج 2 / ص 851

تحصيلها وما يعود على النفس من الضرر بعد تحصيلها بحصول لون آخر من ألوانها
فلذلك يكثر منهم الفسق والشر والتحايل على تحصيل المعاش من وجهة ومن غير
وجهة ، فتجدهم أجراء على الكذب والمقامرة والغش والخلابة والسرقة والفجور في
الإيمان ، والربا في البياعات و إذا كثر ذلك في المدينة أو الأمة تأذن الله بخرابها
وانقراضها¹ "

ومن الجدير بالذكر، أن ابن خلدون قد أفرد في مقدمته بابا خاص تحدث فيه عن المدينة
بعنوان " في البلدان والأمصار وسائر العمران وما يعرض ذلك في الأحوال "

4 - المدينة في الشعر العربي الحديث:

عرف الشعراء العرب القدامى موضوع المدينة ، وقد جاء الحديث عنه في ثنايا
قصائدهم ، " فالتراث الإنساني قد لمس من قريب أو بعيد معنى المدينة والحضارة ن
بما يرمزان عليه من تغيرات ترغم النازح على التخلي عن شكله القديم ، وعلى أن
يلبس للمدينة الجديد لبوسها² "

وتزخر كتب التراث العربي بشواهد تؤكد علاقة الشاعر بالمدينة وقد تبلورت هذه
العلاقة في العصر العباسي " حيث كانت المدينة سمة الحياة في عصرهم أكثر من أي
عصر مضى³ "

وذلك عند اكتمال النموذج المجتمعي الحضاري العربي الإسلامي الذي تجلت ملامحه
الراقية في الحواضر الزاهرة، مثل بغداد ودمشق وغيرها من المدن والممالك الأندلسية
"4

أما في مطلع القرن العشرين فقد احتل موضوع المدينة مكانة خاصة لدى الشعراء
العرب، وقد ظهرت في مساحة واسعة من دواوينهم الشعرية¹ "

¹ المرجع نفسه ، ج 2 ص 889

² مختار علي أبو غالي ن المدينة في الشعر العربي المعاصر ص 09

³ مناف منصور، الإنسان وعالم المدينة في الشعر العربي الحديث ص 34

⁴ إبراهيم رماني ، المدينة في الشعر العربي ، الجزائر نموذجا . 1962/1925 ص 20، ص21.

وقد نالت المدينة الأجنبية في هذه الفترة اهتمام الشعراء ، فتوقفوا عندها في شعرهم ، وتحدثوا عن ملامحها ، وأبدوا إعجابهم بها ، وبحضاراتها وإنجازاتها ، ومن المدن التي فاقت غيرها في هذا الاهتمام بارييس : " إذ كان الارتباط الروحي والثقافي بينها وبين المثقفين العرب ، يمهد لبلورة صورتها باعتبارها مدينة النور² "

والموقف من المدينة ومن أهم القضايا الإنسانية التي عرضها الشاعر المعاصر حيث كانت صدى مباشر للصدمة الحضارية التي زعزعت ثقته بالوجود من حوله، فكان تعبيره عن تضايقه من المدينة، تعبيراً عن تضايقه من الحضارة الحديثة، حيث كانت رمزا لتلك الحضارة³.

ولعل الدافع الأول وراء اهتمام الشعراء العرب المعاصرين بموضوع المدينة كان نتيجة تأثرهم بتجربة الشعراء الغرب تجاه المدينة والحضارة المادية ، أما الدافع الآخر فهو

الرؤيا الحديثة للشاعر إزاء واقعه واتصاله بالعالم، فقد وعي الشاعر حدود زمانه ومكانه الذي يعيش فيهما، ولذلك فقد اتسعت رؤيته للمجتمع وخاصة مجتمع المدينة⁴.

وقد اختلف موقف الشعراء العرب المعاصرين من المدينة، فمنهم من هاجمها بشكل مباشر أو غير مباشر ، من خلال موقفهم الرومانسي ، فرأوا فيها المكان السالب لوجودهم وحريرتهم وبراءتهم ، ولهذا فقد انطلقوا إلى الطبيعة هرباً من المدينة . ليعيقوا وجودهم ويستعيدوا براءتهم المفقودة ، وقد التحموا بالطبيعة ومظاهرها ، ولهذا فقد ظهرت في شعرهم ثنائية المدينة والريف ، وقد كان الخط الرئيس لشعرهم هو تمجيد الريف وإدانة المدينة . ومن هؤلاء الشعراء " إيليا أبو ماضي " و " بدر شاكر السياب " و " صلاح عبد الصبور " وغيرهم .

ومنهم من رفض المدينة وأظهر نغمته عليها وكرهه لها بشكل واضح ومباشر وذلك بسبب رفضه للوجه الحضاري المادي لها ، فقد رأى فيها عنصراً ضاغطاً على وجوه

¹ المقري ننفخ الطيب من غصن الأندلس الرطيب، م/6/288 .

² خليل الشيخ، بارييس في الأدب العربي الحديث ص 188

³ إحسان عباس، اتجاهات الشعر العربي المعاصر ص 85

⁴ علي جعفر العلق ، المدينة في الشعر ، دراسة في موقف الشاعر العراقي الحديث من المدينة

ع 5، 1986، ص 46 .

وأفكاره وقيمه ، ورأى أنها السبب وراء اختلال العلاقات الإنسانية ، وأنماط الحياة والقيم الأخلاقية وقد كان الشاعر في هذا الموقف من المدينة يصدر عن رؤية فردية خاصة به ويعبر عن تجربة شخصية خاضها في المدينة ، ومما ساعد في تشكيل هذه الرؤية أن عددا من الشعراء المعاصرين كانوا "ريفين النشأة ثم هاجروا إلى المدن ¹ " فصدموا بطبيعة تلك الحياة المادية فيها .

ومن هؤلاء الشعراء السياب وصلاح عبد الصبور وغيرها ، يقول أحمد عبد المعطي حجازي :

هَذَا أَنَا
وَهَذِهِ مَدِينَتِي
عِنْدَ انْتِصَافِ اللَّيْلِ
رِحَابَةَ الْمَيْدَانِ وَالْجُدْرَانِ تَلُّ
تَبِينُ ثُمَّ تَخْتْفِي وَرَاءَ تَلِّ
وُورَيْقَةً فِي الرِّيحِ دَارَتْ ، ثُمَّ خَطَّتْ ثُمَّ ²
ضَاعَتْ فِي الدَّرُوبِ
ظَلٌّ يَذُوبُ
يَمْتَدُّ ظِلُّ

لَقَدْ طَرَدْتَ الْيَوْمَ
مِنْ غُرْفَتِي
وَصِرْتُ ضَائِعًا بَدُونِ اسْمِ
هَذَا أَنَا وَهَذِهِ مَدِينَتِي ³

¹إحسان عباس، اتجاهات الشعر العربي المعاصر ص 90

²أحمد عبد المعطي حجازي، الديوان ص 188

³أحمد عبد المعطي حجازي ن الديوان ص 189

فالشاعر قد فقد وجوده في هذه المدينة التي أشعرته بالغربة والضياع ومنهم من رفضها بسبب فكره السياسي وموقفه الإيديولوجي فرآها مكانا سالبا للحرية ، وبؤرة مركزية للسلطة الحاكمة ، ومكانا للظروف السياسية والاجتماعية السيئة ، مما نفره من المدينة وجعله يرفض وجهها القائم ، ويحاول الثورة عليه. وقد انتقل معظم الشعراء العرب من موقف الرفض إلى موقف قبول المدينة والمصالحة معها ، فقد رأى فيها الشاعر الوجه المشرق الذي احتضن الثورات ، فقد شهدت المدينة العربية بعد الحرب العالمية الثانية أحداثا سياسية شدت الشاعر إليها¹

- موقف من المدينة :

إن كثير من الباحثين يميلون إلى الاعتقاد بأن المدينة في العالم العربي ليست سوى " قرية كبيرة و أن الشاعر حين يحس بتضايقه من المدينة ويتحدث عن الغربة والقلق والضياع هو مجرد محاكاة شعراء الغرب حين يضيقون ذرعا بتعقيدات الحضارة الحديثة ، وبالمدينة الكبيرة ممثلة لها . أما أن الشاعر العربي الحديث ، مقلد له في هذا المجال ، وقد كان من المصادفة المحض أن يكون عدد من الشعراء المعاصرين ريفي النشأة ثم هاجروا إلى المدن

فلاصطدام بينهم وبين المدينة لا يعني مقنا للحضارة ووسائلها وإنما هو تعبير عن " عدم الألفة " بينهم وبين البنية الجديدة لأسباب مختلفة² .

فمن المعروف أن أول ما يحس به الريفي تجاه المدينة هو النفور من الضجيج الكثير والازدحام والتدافع ن واضطراره إلى تغيير طريقته في المشي المتباطئ واستحداث سرعة لم يألفها من قبل في الحركة عامة ، والإحساس بالحيرة والخوف إزاء أدوات المواصلات وتعقيدها ، فلم تكذ هذه المزاي تنسيه أنه أيضا يجد فيها أن كل شيء محسوب بزمن ، ويبدأ يحس بالفارق الضخم بين المجتمع الفقير والمجتمع الغني في المدينة نفسها ، ولعل أشد ما يصدمه أن كل شيء يباع ، فتأخذ الحسرة على ما فقده من "

¹ عز الدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر، قضاياها وظواهره الفنية ص 328
² إحسان عباس، اتجاهات الشعر العربي المعاصر ن مطابع دار القبس، الكويت 1978 م ص 112

فضائل " الريف وأخلاقياته وعاداته ، وينسى أن المدينة منحه حرية فردية كبيرة وخلصته من أسر العادات الرتيبة وقبضتها الوثيقة .

وقد ذهب كثير من علماء الاجتماع إلى أن كثيرا من الاحباطات التي يحس بها ساكن المدينة إنما هي نتيجة صراع أساسي بين القيم ،بين الذات والمجموع بين الحرية والسلطة بين التنافس الحاد والمحبة الأخويةالخ .

وأن الفرد يحس أن قيما عزيزة على نفسه قد تحولت عن طبيعتها وفي النفور من هذا الوضع يحاول المرء أن يجد لنفسه مهربا أو مسربا ، إذا كان ساكن المدينة يحس بذلك كله فإن المهاجر إليها من الريف لا يملك إلا أن يكون إحساسه به حادا طاغيا ¹ .

- العلاقة بين الريف والمدينة :

يعتمد كيان المدينة على الريف تماما، فلم تكن المدينة في الريف فقط. بل كانت منه كذلك ومن هذه الزاوية كانت خاضعة للريف في أصلها وتحت صيتها ، فمع ضعف الفائض الزراعي لدى الفلاح فغنه يفترض من المدينة مما أخذته من قبل من ضرائب ، فلا تلبث المدينة والريف علاقة تكاملية ن فالمدينة هي قلب الإقليم كما أن الوسط التجاري في المدينة هو قلبها .والمدينة نواة الإقليم الريفي الذي يتبلور حولها ² . أو كما يقول راؤول بلانشار ،المدينة هي الرأس والإقليم هو الجسم ، وتبدو العلاقة متبادلة وليست فقط من جانب واحد في أن رخاء المدينة خاليا من رخاء ريفها ، ويستطيع المرء أن يحكم على حالة محصول القطن أو الكروم في الريف من درجة النشاط أو الكساد في محلات المدينة . فالمدينة انعكاس لريفها ، ولكنها في نفس الوقت تتحكم في تطوره ³ . وإلى جانب العلاقتين الإدارية والثقافية بين المدينة والريف ، هناك العلاقة السكانية ، حيث المدينة في الإقليم تعمل كالمقطب المغناطيسي الذي يتجاذب إليه سكان الريف المحيط ، وتكاد تكون هذه ظاهرة عالمية بحيث يمكن أن تتصور المعمور في العالم مع الفارق طبعا كالألاف من الكهارب التي تدور في فلكها الذرات ، ويمكن أن

¹ إحسان عباس، اتجاهات الشعر العربي المعاصر، مطابع دار القبس، الكويت 1978م ص 113

² جغرافية المدن ص 321

³ المرجع السابق ص 330

نميز في هذه العلاقة السكانية بين حركتين ، هجرة دائمة من الريف إلى المدينة أو الخروج من الريف ، وحركة يومية بين العمل والسكن أو الرحلة إلى العمل¹ .

- ثنائية القرية والمدينة:

في المجتمع القروي يعيش مزارعون مستقرون، يخططون وينظمون أعمالهم، متكيفون مع قوانين الطبيعة، آخذون في اعتبارهم مواسم الحصاد طموحاتهم محدودة مقصورة على الضروري، وهم يتجاوزون خيبة الأمل ويستخلصون منها حكمة عملية تخفف عنهم متاعبهم. مجتمع تسوده العلاقات الأولية هذه العلاقات المنبثقة أساسا من حياة الريف ، كما تسوده الرقابة الأولية هذه العلاقات المنبثقة أساس من حياة الريف ، وأهل الريف أكثر تجانسا ، ولهم خصائص نفسية تميزهم عن الحضريين ، وهم أكثر إيمانا بالقضاء والقدر ، مما قلل نسبة الأمراض العصبية والعلل النفسية في القرية عما هي عليه في الحضر وكل ذلك نقيض لخصائص المجتمع المدني الذي يبرز الفردية وسرعة التحرك الاجتماعي وعدم التجانس وتمزق العلاقات الروحية² .

هذه تقريبا هي الصفات العامة للمجتمع الريفي ، الذي لا حاجة فيه إلى الحصون والحراس ، يعيش فيه الريفيون بطمأنينة تضع نفسها فيما يجاوز الأمل وعدم الرضا ،³ ومن هذا المجتمع نزع الشاعر الريفي إلى المدينة ، يحمل قريته دائما بين جوانحه ، ويجتاحه الحنين إلى قريته من حين إلى آخر ، والحنين إلى الريف و إن كان ضربا من الحنين على الوطن يحمل معاني القلق والضيق وعدم الارتياح في المدينة . فشعرائنا وإن كانوا ينتسبون إلى غير الرومانسية لم يتخلصوا كليا من بعض سماتها

¹المرجع السابق ص 330

² ألدوفان إيك :بعض التعليقات على منعطف حافل بالدلالة (معنى المدينة ، ص 232 - ص 233)



الفصل الثاني



- المبحث الأول: لمحة عن شعر المهجر
- المبحث الثاني: مفهوم شعر المهجر و نشأته.
- المبحث الثالث: مسيرة أدب المهجر.
- المبحث الرابع : الرابطة القلمية و مؤسسيها .

1- لمحة عن شعر المهجر :

الشعر لغة " العلم " واصطلاحا لقد تعددت الآراء فيه منها ما قاله المحققون عن الأدباء أن الشعر هو الكلام الفصيح الموزون المقفى غالبا عن صور الخيال البديع ، وعند قدامة بن جعفر بأنه قول موزون مقفى يدل على معنى وعند ستدمان " stadmon " كما نقل أحمد الشايب إن الشعر هو اللغة الخيالية الموزونة التي تعبر عن المعنى الجديد والذوق والفكرة والعاطفة وعن سرالروح البشرية¹ .

الشعر كفن من فنون التعبير اللغوي له عناصر تمتاز به من غيره، وهي العاطفة والفكرة والخيال والأسلوب. وبهذه العناصر فالشعر مما أبدعه الناس يستطيع أن يؤثر القارئ أو السامع حتى يزلزل قلبه ويتحرك وجدانه ويتركز اهتمامه مما قرأه أو سمعه مع نشأة ووجود أمواج الشعور والروح البشرية عنده .

أما المهجر من الأنواع الشائعة في الشعر العربي الحديث ولقد شهد النصف الثاني من القرن التاسع عشر بداية رحلات المهاجرين أفرادا وجماعات من الأقطار العربية وخاصة في سوريا ولبنان وفلسطين إلى القارة الأمريكية في شمالها وجنوبها وحديث هذه الهجرة هروبا من الأزمة التي كانوا في بلادهم يعانون منها السياسية والاقتصادية والاجتماعية ومن ناحية أخرى كانت حالة البيئة الطبيعية في لبنان وملكة المهجرين في قرض الشعر عاملين من عوامل ظهور الشعر المهجري بجماله في الشكل والمضمون ، فيقال إن الشعر المهجري كان من ناحية شكله ومن ناحية مضمونه مرحلة متميزة كل التميز في حياة العرب الأدبية المعاصرة ، ويمكن اعتبار هذه المرحلة أثر رسم إطار جديد للتصور الشعري وفي إعطاء القيمة الحقيقية من الناحية الفنية والإنسانية لهذا الجنس الأدبي² .

¹ أحمد الشايب ، أصول النقد الأدبي (القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية 1964 ص 395)
² عبد الحكيم بليغ ، دراسات في الشعر المهجري (القاهرة ، كلية دار العلوم ، 1967م) ص1

ومن الحلقات الأدبية التي أسهمت إسهامات كثيرة في تجديد الأدب العربي هي حلقة أدباء المهجر الذين أنشأوا أدبا باسم الأدب المهجري فيعتبر الأدب المهجري حلقة هامة في تطور الأدب العربي¹ .

إن كلمة المهجر مشتقة من الهجرة أو المهاجرة بمعنى الخروج من أرض إلى أرض فالمهاجرة اسم مكان هاجر ويهاجروا هجرة وهجرة ومهاجرة ، والمهجر معناه مكان الهجرة²

فالأدب بهجرته من أمة إلى أخرى يثبت حيويته ومرونته وصلاحيته للدوران في أقطار الفكر الإنساني ، والأدب في هجرته من أمة إلى أمة يكتسب نغمة جديدة أو لمسة مستحدثة أو لونا فريدا أو العديد من ذلك طبقا لما لدى الأمة من قوة تستطيع بها إثراء الأدب الوافد³ .

2- مفهوم شعر المهجر ونشأته :

¹ أبو عوص أحمد والقاربي عبد اللطيف ، الحركات الفكرية والأدبية في العالم العربي الحديث (المغرب :دار الثقافة 1683م) ط2، ص321 ،
² عبد الله العيلاني ، لسان العرب المحيط (بيروت ، دار الجيل 1977م) ج6، ص17 .
³ نظمي عبد الوديع ، أدب المهجرين أصالة الشرف وفكر الغرب (القاهرة ، دار الفكر العربي ، ص57) .

إن كلمة المهجر مشتقة من الهجرة أو المهاجرة بمعنى الخروج من أرض إلى أرض فالمهاجرة اسم مكان من هاجر ويهاجر وهجرة وهجرة ومهاجرة ، والمهجر معناه مكان الهجرة¹ .

ينصرف هذا الاسم إذا أطلق على الأدب الذي أنتجته الجاليات العربية التي استقرت في أمريكا وأكثرهم من النصارى بعد أن نزح أفرادها من الشام فرارا من الأتراك وبحثا عن القوت ، وينقسم أدباء المهجر إلى طائفتين : طائفة استوطنت نيويورك وكان لها طابعها الخاص في حياتها وأدبها الذي تأثر بالأدب الأمريكي تأثرا واضحا وقد عرف هؤلاء بالشماليين ، وطائفة استوطنت الأرجنتين وكانوا في حياتهم وأدبهم أكثر محافظة من الشماليين وقد عرفوا بالجنوبيين² .

وذكر " كمال نشأت " أن الأمريكيين اللاتينيين كانت وجهة أغلب المهاجرين و إن كان هناك عدد كبير قد ولى وجهة شطر أستراليا وإفريقيا وجزر ماليزيا والصين واستقر هناك³

إن الهجرة التي وقعت بين اللبنانيين جاءت بآثار عظيمة في حياة الأدب العربي لأن هجرتهم ليست بهجرة أنفسهم فحسب و غنما هجرة ثقافتهم وأدابهم .

فالأدب بهجرته من أمة إلى أخرى يثبت حيويته ومرونته وصلاحيته للدوران في أقطار الفكر الإنساني . والأدب في هجرته من أمة إلى أمة يكتسب نغمة جديدة أو لمسة مستحدثة

¹ عبد الله العيلاني ، لسان العرب المحيط ، (بيروت كدار الجيل 1977 م) ج6، ص17 .

² نبيلة لويس ، المعين نفي الأدب العربي وتاريخه ، (جاكرتا ، كلية الآداب وعلوم الإنسانية ، جامعة شريف هداية الله الإسلامية الحكومية ، 2005م) ، ص168 .

³ كمال نشأت ، شعر المهجر (القاهرة :الدار المصرية للتأليف والترجمة ، 1966م) ص 9-10

أو لونا فريدا أو العديد من ذلك طبقا لما لدى الأمة الآخذة من قوة تستطيع بها إثراء الأدب الوافد¹.

إن الأسباب التي من شأنها أن تغير في الحياة الكثير ومن الممكن رد كل طائفة منها إلى أصل واحد أو سبب رئيسي واحد هو البيئة .

وإن الهجرة لن تقع إلا بوجود أسباب تدفع إلى وقوعها فمن الأسباب التي تدفع إليها الأوضاع الاجتماعية والأوضاع السياسية والأوضاع الاقتصادية.

لقد وقعت الهجرة في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين والقول الشائع بين المهاجرين إنما وقعت وبدأت في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر. هذه الحركة تعتبر من أهم حركة الهجرة في العصر الحديث حيث برزت في الولايات المتحدة الأمريكية ودول أمريكا الجنوبية وبخاصة البرازيل والأرجنتين وفنزويلا.

ولما استولى السلطان سليم الأول بلاد الشام عام 1516 م وجمعها إلى الدولة العثمانية التي اشتهرت بطغيانها بدأت هجرة أهل الشام فرارا عن حالة الظلم والطغيان لأن الطريق إلى الفرار من السلطة الجائرة إحدى الاثنتين هما : الثورة أو الهجرة ، فاختار أهل الشام الطريق الثاني وهو الهجرة فهاجروا إلى أماكن متنوعة منها أمريكا و أول من وصل إليها هو أنطونيوس اليشعلاني الذي هاجر إلى نيويورك عام 1854 م²

¹ نظمي عبد البديع، أدب المهجرين أصالة الشرق وفكر الغرب، (القاهرة: دار الفكر العربي ، د ت)ص 57 .

² الطاهر أحمد مكي، الشعر العربي المعاصر روائعه ومدخل لقراءته (القاهرة: دار المعارف ، 1980م)ط1، ص 129 .

3- مسيرة أدب المهجر:

كان جل طلائع المهجرين من الأميين ومع ذلك أنشأوا لهم صحفا وصفها "جورج صيدح" بالإسفاف والسقوط، وحين لحق بهم نفر من المثقفين بدعوا في إصلاح أوضاعهم فأسس الجنوبيين رابطةهم الأولى "رابطة المعري" وعملوا على تهذيب الصحف وفي عام 1339هـ أسس الشماليون الرابطة القلمية وقد انفرط عقدها سنة 1349هـ وفي عام

1351هـ أسس الجنوبيين رابطةهم الجديدة "العصبة الأندلسية" فعاشت عشرين عاما وبعدها أسس جورج صيدح الرابطة الأدبية في سان باولو وبعد انحلالها قرابة عامين أسست مريانا عبول فاخوري مجلة المراحل ثم أسس الجنوبيين جامعة القلم وقام الشماليون بتأسيس جامعة الأدب العربي ولم يكن لهم شأن يذكر وكان لهذه الجمعيات المتعددة صحف ومجلات.

-عوامل الهجرة:

المهجريون جماعات من بلدان عربية ولا سيما سوريا ولبنان، هاجرت إلى شمال أمريكا وجنوبها على هيئة أمواج متتالية منذ أواخر القرن التاسع عشر. وكانت الهجرة لأسباب عدة، بعضها سياسي يعود إلى ضغط الأنظمة السياسية لتلك البلاد على رعاياها، وبعضها اقتصادي يعود إلى الفقر والرغبة في انتجاع الرزق في العالم الجديد، يقول أبو ماضي مصورا ذلك:

لبنان تعذل بنيك إذا هم ركبوا إلى العلياء كل سفين

لم يهجروك ملالة لكنهم خلقوا لصيد اللؤلؤ المكنون

ولدتهم نسورا حلقوا لا يقنعون من العلا بالدون

والنسر لا يرضى السجون وإن تكن ذهابا، فكيف محابس من طين؟¹

¹ديوان أبي ماضي 727.

وقد تكون الهجرة لأسباب فكرية ، كإحساس بالغربة النفسية في الوطن وهناك عوامل أخرى أدت إلى تلك الهجرة ،منها الدعايات التي كانت تنشرها شركات الملاحة والسياح الأجانب في البلدان العربية ، ولربما كانت أخبار المغتربين ورسائلهم إلى ذويهم تحسن هذه الحياة في العالم الجديد ، بما فيه من ترف وعيش كريم ¹.

وكان من تلك الجماعات المهاجرة طائفة من الشبان المثقفين ، المتحمسين للأدب العربي ، الذين نجحوا في تأسيس حركة أدبية في المهجر تمثل انعطافه مهمة في الشعر العربي الحديث ، و لاسيما الاتجاه الوجداني .

كانت تتبادل مع رومانسيي الشرق التأثير والتأثر وعرفت هذه الحركة بـ " الأدب المهجري" بفرعيه: المهجر الشمالي أي الولايات المتحدة الأمريكية والمهجر الجنوبي أي أمريكا اللاتينية، والبرازيل على الوجه الأخص. أما أدباء المهجر الشمالي فكانوا " أبرز أثرا وأوسع أفقا و أعمق إحساسا بإنسانية الأدب والشعر " .

إذا أحدثوا انقلابا في حركة الشعر الحديث، سواء في الشكل أو في المضمون وقادوا موجة التجديد في شعر المهجر. و أما أدباء المهجر الجنوبي، فكانوا أكثر التصاقا بالتراث القديم، وأكثر تعبيراً عن الأماني القومية² .

أهمها :

1-العصبة الأندلسية التي سميت باسم رابطة الجنوبيين

2-صحيفة الفنون لنسيب عريضة

3-مجلة المراحل لمريانا دعبول

وكان أدباء المهجر ينشرون أدبهم في صحفهم وفي الصحف العربية وفيما ينشرونه من مؤلفاتهم الشعرية والنثرية على أن شأنهم قد هان وقوتهم قد ضعفت بعد أن مات كثير

¹ الأدب العربي الحديث (الشعر)-سامي يوسف أبو زيد [الطبعة الأولى (2014م-1435ه) عمان –

دار المسيرة للنشر والتوزيع]ص133

²عيسى الناعوري، أدب المهجر ، 15

من الرواد وتكالتبت عليهم آفات الزمن وأخطارها وزحف لغة المجتمع الذي يعيشون فيه¹.

- سمات الأدب المهجري:

إن السمات التي تميز بها الأدب المهجري عن غيره ، هو التحرر من قيود القديم ، مبنى ومعنى وتميزه بالأسلوب الفني والطابع الشخصي وحنينه الشديد إلى الوطن ونزعه الإنسانية وحبه للتأمل وبعد النظر ، وبساطته في التعبير ، ورقته اللفظية ، ووصفه ، ووصفه وتصويره الدقيق ، وحبه للطبيعة ومناجاتها ، وحرية الدينية ، وحسن رسمه لمآسي الغربة القاسية و ألامها وبعده الإنساني وتمجيده للقيم العالية والمبادئ السامية ، وتمسكه بمجد التراث العربي وما يحمله من معان رفيعة ، وإيمانه بوحدة الوجود وسوى ذلك من الخصائص التي بواته مركز الصدارة في نهضتها الأدبية الحديثة².

4- الرابطة القلمية :

منذ ما يربوا على نصف قرن أصدر الأستاذ عيسى الناعوري كتابه القيم " أدب المهجر" والكتاب ليس دراسة مؤلفة ، وإنما هو في معظمه تجميع لأحاديث إذاعية قدمها في محطات إذاعية مختلفة ، هذه الأحاديث تدخل في إطار ما يعرف ب " النقد التأثري " . ومن ثم فإنه واحد من المصادر الأدبية في دراسة الشعر المهجري . و أول ما يطالعنا في المهجر الشمالي هذه الكوكبة من الأدباء والشعراء ، من أمثال جبران خليل جبران ، وميخائيل نعيمة وإيليا أبو ماضي ، ونسيب عريضة ، ورشيد أيوب ، وعبد المسيح حداد ، وندرة حداد ووليم كاتسفليس ، وأمين الريحاني و أمين مشرق ومسعود سماحة ونعمة الحاج³.

ففي مساء العشرين من نيسان " أبريل " عام 1920 ، ولدت فكرة " الرابطة القلمية " في بيت صاحب جريدة " السائح " الأستاذ عبد المسيح حداد ، حيث اجتمع نفر من

¹نبيلة لويس ، المعين ، في الأدب العربي وتاريخه ، ص 168-169

²خليل برهومي ، إيليا أبو ماضي : شاعر السؤال والجمال ن(بيروت : دار الكتب العلمية 1993م) ص 48 .

³ الأدب العربي الحديث (الشعر) سامي يوسف أبو زيد [الطبعة الاولى (2014م-1435هـ) عمان - دار المسيرة للنشر والتوزيع] ص 134 .

الشبان اللبنانيين والسوريين ، واستحسنوا هذه الفكرة ، ودعوا إلى العمل لتحقيقها . ومن ثم أصبحت الرابطة حقيقة واقعة ، وانتخب الحاضرون جبران " عميدا " يعاونه في إدارتها ميخائيل نعيمة " مستشارا " . ويعمل تحت لواء الرابطة سبعة " عمال " هم: أبو ماضي ، ونسيب عريضة ، وعبد المسيح حداد ، ورشيد أيوب ، وندرة حداد ، ووديع باحوط ، وإلياس عطا الله .

صدرت مجموعة الرابطة القلمية عام 1921 ، التي اشترك فيها عمال الرابطة وشكلت كتابا يزيد على ثلاثمائة صفحة ، يحوي موضوعات متنوعة في الأدب واللغة والفلسفة والاجتماع ، وكان لهذه المجموعة أثر في الشرق العربي وفي المهجر .

عاشت الرابطة القلمية بأعضائها العشرة زهاء إحدى عشر سنة (1920-1931) ثم انفرط عقدها بوفاة العميد جبران خليل جبران في نيسان (أبريل) عام 1931 وعودة ميخائيل نعيمة إلى موطنه لبنان . وأما بقية الأعضاء فقد اختطفهم يد المنون واحدا تلو الآخر ، إذ توفي رشيد أيوب عام 1941 في بروكلين نيويورك وتلاه نسيب عريضة عام 1946 في بروكلين أيضا ، ورثاه أبو ماضي بقصيدة رائعة¹ .

وبرحيل هذا الرعيل من أدباء المهجر، لم تقم لهذا الأدب قائمة ، فقد ابتعد الجيل اللاحق عن الحياة العربية ولغة الضاد ، والتحم بنسيج الحياة الأمريكية ، ولم يعد بالإمكان " أن ينهض جبران آخر، ولا ميخائيل نعيمة ثان في تلك البلاد " ²

- المباشطة والمفاكهة :

وهو لون الحديث ينفس وينقض عنها الملل والكلل ، ويساعد في كشف سحب الاكتئاب عن نفوس أوهنها الاغتراب ، وكان صاحب مصنع أحذية أهدى إلى توفيق صنعون حذاء أرفقه بيتين هما :

لقد أهديت توفيقا حذاء فقال الحاسدون: وما عليه ؟

¹ زهير ميرزا أبو ماضي شاعر المهجر الأكبر ص 975 .

² نادرة السراج ، شعراء الرابطة القلمية ، ص 100 .

أما قال الفتى الغربي يوما شبيه الشيء منجذب إليه ؟

فشكرت توفيقا على الهدية وأجابه بقوله :

لو كان يهدي إلى الإنسان قيمته

لكنك أسألك وما فيها

لكن تقبلت هذا الفعل معتقدا أن الهدايا على مقدار مهديها¹

-العاطفة:

العاطفة أو إحساس الأديب هو المؤدي إلى الانفعال الذي يتحول إلى الايجابية حتى يعبر عن نفسه باللغة² ، والعاطفة أو الانفعال في فن الشعر نعني بها الحالة التي تنتشع فيها نفس الأديب والشاعر بموضوع أو فكرة أو مشاهدة ، وتؤثر فيه تأثيرا قويا يدفعه إلى التعبير عن مشاعره والإعراب عما يجول بخلده³.

وقد تكون العاطفة ذاتية ترتبط بعلاقات خاصة كالحزن على فقد أحد الأقارب والفرح للقاء حبيب غائب، وقد تكون غير ذاتية نحو إنسان أو نحو الوطن أو الأمة أو نحو قيمة من القيم الإنسانية السلبية كالعواطف الإيمانية وحب الوطن.

فالعاطفة عي الانفعالية ولها أهميتها في النص الأدبي فهي عنصر من أهم عناصره ولكن أهي عاطفة القارئ أم الأديب أم عاطفة أبطال القصة والمسرحية ؟

إننا نريد كلا منها من موضوع من المواضيع ومن جانب آخر فهناك شبه تلازم بينها، فالعاطفة الأدبية إذن هي تلك القوة التي يثيرها الأدب فينا نحو القارئ. إن العاطفة

¹نبيلة لويس ، المعين :في الأدب العربي وتاريخه ،ص 170-171

²محمد حسن عبد الله ، مقدمة في النقد الأدبي (الكتب ،دار البحوث العلمية ، 1295 هـ /1975 م)،ص 234 .

³ محمد عبد المنعم خفاجي ، مدارس النقد الأدبي الحديث (القاهرة :الدار المصرية اللبنانية 1995م)،ص 44 .

عنصر أساس من العناصر الأدبية ، وهي التي تميز النص العلمي وتجعله شائقا جذابا ، على الرغم من تكراره وإعادة تلاوته¹ .

-الأسلوب:

الأسلوب هو نهج خاص في الكتابة والتعبير عن الأفكار، وهو البحث عن الأنماط التعبيرية التي تترجم في فترة معينة حركات فكر وشهور المتحدثين باللغة ودراسة التأثيرات العفوية الناجمة عن هذه الأنماط لدى السامعين والقراء² . فالأسلوب هو المظهر أو الشكل اللغوي الذي تتجلى فيه العناصر الثلاثة وهي الفكرة والعاطفة والخيال . إن الأسلوب هو طريقة الكاتب الخاصة في التفكير أو الشعور والطريقة الخاصة في الشعور والرؤية تفرض طريقة خاصة في استخدام اللغة. فالأسلوب الصادق إذن يجب أن يكون فريدا إذا كنا نفهم من عبارة "الأسلوب الصادق" تعبيراً لغوياً كافياً كل الكفاية عن طريقة الكاتب في الشعور³ .

-الفكرة:

الفكرة أو الحقيقة أو المعنى أو المضمون هن أهم عناصر الأدب ومقوماته وهي الأساس الأول للاعتراف بقيمته وهي كذلك أساس العاطفة ، فلا بد من نماذج الفكرة بالعاطفة والأدب الذي ينقصه الفكرة ، أدب ميت خامل ضعيف لأن الأدب ليس أسلوباً وتعبيراً فحسب ، بل لا بد فيه من أن يصيف إلى معلوماتنا جديداً عن الكون والحياة والوجود والناس ، ويجب أن تكون الأفكار والمعاني في الأدب واضحة ليس فيها لون من التعقيد المعنوي ، كما يجب أن تكون صحيحة جديدة دقيقة فياضة . والأديب يجب أن يتناول في النص الأدبي من الأفكار ما هو وثيق الصلة بالموضوع والمقام⁴ . الأفكار

¹ محمد عبد المنعم خفاجي ن مدارس النقد الأدبي الحديث نص 48 .

² صلاح فضل ، علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته ، (القاهرة كدار عالم المعرفة ن1993م) نص 19 .

³ عز الدين إسماعيل، الأدب وفنونه :دراسة ونقد ، ط4 (القاهرة : دار الفك العربي ،1968م)ص 37

⁴ محمد عبد المنعم خفاجي ،مدارس النقد الأدبي الحديث (القاهرة ،الدار المصرية اللبنانية

1416/1995م)ص 50 .

هي مضمون كل عمل أدبي ومحتواه وهي المعنى الذي تترجم عنها الصياغة الفنية
وكما أن النغم الموسيقي

يعبر عن لحن كذلك فإن الأداء التعبيري بالكلمة يعبر عن فكرة يريد الأديب الإفصاح
عنها والفكرة تربط الإحساس أو العاطفة ربطا وثيقا ولا ينفصل التفكير عن الإحساس
1 .

-الخيال :

الخيال هو ملكة تمكن الشاعر أو الكاتب من أن يخترع شيء من لا شيء ، ويؤلف شيئا
من الأشياء للإتلاف بينها . وإنما يستمد صورته ونتائجه من الأشياء الموجودة ويألف
بينها تأليفا غريبا يبهر النفس ويفتتها ² .

ثم أكد على ذلك الدكتور طه شداد في الأدب المقارن ، أن الخيال ليس صدقا ولا تعبيراً
عن واقع ولكن جموح وطموح يتجاوز فيه الأديب عالم الحقيقة والواقع ويصل إلى
عوالم من صنع مخيلته أرحب و أوسع ³ .

وتبدوا صور الخيال في النص الأدبي في التشبيه والمجاز والاستعارة والكناية وحسن
التعليل والمبالغة وما شابه ذلك . والخيال يغلب على الشعر أكثر من غلبته على النثر
والأديب يستطيع بخياله أن يبعث في النص الأديب قوة وروح وحياة وكلما تعمق الأديب
في الأدب وتذوقه كانت حاجته إلى الخيال أكثر ⁴ . أضيف إلى ذلك ، أن الخيال الواسع
يوجد دائما ليروي حنين الناس إلى الواقع الحي وقد كان الخيال الواسع سمة الآداب عند
الأمم في أدوارها الأولى وقد وجدت الملاحم تجسّمه عند بعض الأمم ، وكلما تحضرت
الآمة لجأت إلى العقول في حياتها قلت عندها سبحات الخيال .

¹ طه أبو كريش ، في ميزان النقد، (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، دت) ص38

² محمد حسن عبد الله، مقدمة في النقد الأدبي (الكيث: دار البحوث العلمية، 1295هـ/1975م)

³ طه شداد، الأدب المقارن، (د.م.ن: دار المعان، 1980م) ص14

⁴ المرجع نفسه، ص53



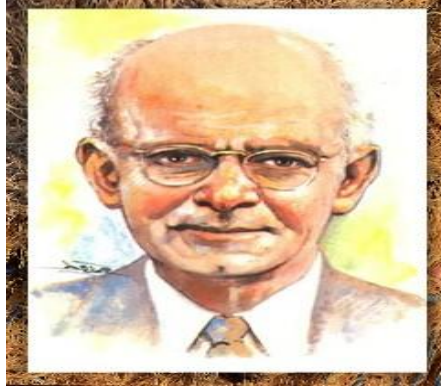
الفصل الثالث

* أبو ماضي حياته ثقافته وشاعريته (تطبيق) *



- المبحث الأول : حياته _____ .
- المبحث الثاني : ثقافة الشاعر _____ .
- المبحث الثالث : شاعريته _____ .
- المبحث الرابع : دراسة نموذج _____ .

إيليا أبو ماضي (حياته)



1- حياته

يعتبر الشاعر المبدع إيليا أبو ماضي ، أحد أبرز شعراء المهجر الشمالي ، ومن أكبر الشعراء العرب المعاصرين في القرن العشرين. ولد في قرية " المحيدثة " اللبنانية من قرى قضاء المتن الشمالي وجارة " بكيفيا " بحكم الموقع الجغرافي . وهي تمتاز بطبيعتها الخلابة الفاتنة وبأشجارها الباسقة ، لاسيما السنديان والصنوبر وبأوديتها الغافية على حلل سندسية زاهية نضرة . وهي هادئة الموقع بعيدة عن الصخب و الزحام و زعيق السيارات و الشاحنات .

وبالرغم من أن شاعرنا المرموق من أبناء العصر الحديث ، وليس من شعراء العصر الجاهلي إلا أن النقاد و المؤرخين اختلفوا في تحديد سنة ولادته . فجريدة " السائح " المهجرية تذكر أنه ولد عام 1889 م. أما الأستاذان محمد قرة علي و جورج صيدح فيذكران أنه من مواليد عام 1890م. بينما يرى عميد الأدب العربي الدكتور طه حسين أن الشاعر من مواليد عام 1891م . و يؤكد هذا التاريخ الأديب السوري زهير ميرزا . و يجاربه في هذا الشأن الدكتور عبد المجيد عابدين و الأستاذ نجدة فتحي صفوت¹ .

¹: هاني الخير، إيليا أبو ماضي شاعر الحنين ... والأحزان ، ص07.

طرح الأديب طالب زكي طالب مؤلف " كتاب إيليا أبو ماضي بين التجديد و التقليد " تساؤل عن أي من هذه التواريخ أنسب

المرجح أنه العام /1889م/ ، لأسباب منها ، مجلة " الفنون " النيويوركية قريبة الصلة بالشاعر فصاحبها " نسيب عريضة " " كأبي ماضي " أحد أعضاء الرابطة القلمية وهو على إطلاع أكيد على حياة الشاعر و دقائقها . قد يقال إن مجلة " الفنون " أعطتنا موجزا عن حياة الشاعر عام /1916م/ أي قبل تأسيس الرابطة القلمية بأربع سنوات وقبل ارتباط اسم الشاعر بها و بمؤسسيها ، وهذا التساؤل يتداعي حينما نعلم أن جريدة " السائح " لسان حال الرابطة القلمية أكدت هذا التاريخ . ويثبت الدكتور " جورج ديميتري سليم " رسالة من الشاعر المهجري " نعمة الحاج " يقول فيها :

إيليا أعز صديق و أحب عشير ورفيق لي ... و إني متأكد أنه من عمري. فلطالما تذاكرنا بذلك و كلانا ولد سنة 1889م هو في شهر أيار "مايو " وأنا في شهر آب "أغسطس "... وعلى هذا الأساس فالمرجح أن تاريخ ولادة الشاعر هو العام /1889م/.¹

لم يكد أبو المهجر يتم دراسته الابتدائية حتى رحل إلى مصر ونزل بالإسكندرية سنة 1901 ، فاشتغل في متجر لعمه ، ولكنه كان يطلب العلم ، فيأخذه في المدارس الليلية تارة أخرى ، إذ اطلع على دواوين الشعراء المعاصرين كالبارودي وشوقي وحافظ ، ودرس النحو والصرف .

وظل بمصر إحدى عشر سنة ، تفتحت خلالها موهبته الأدبية ، فنظم الشعر وعرض بعض قصائده على الأستاذ أنطون الجميل الأديب والصحافي المعروف ، فكان يستحسنها وينشر جانباً منها في مجلة "الزهور" وإبان هذه الفترة طبع ديوانه الأول "تذكار الماضي"²

¹: هاني الخير ، إيليا أبو ماضي شاعر الحنين ... و الأحران ، ص 08/07.

²: سامي يوسف أبو زيد ، الأدب العربي الحديث (الشعر) ، ص 149.

لم يلبث أن هاجر إلى الولايات المتحدة في سنة 1912 ونزل سنسنتي ، حيث عمل في التجارة مع أخيه مراد ، ثم انتقل إلى نيويورك في الصيف عام 1916 ، فعمل في الصحافة وشارك في تحرير مجلة " الحرية " و حرّر أيضا في جريدته " زحلة الفتاة " ثم انتقل سنة 1918 لتحرير " مرآة الغرب "

والتقى بجبران خليل جبران و رفاقه من أمثال ميخائيل نعيمة ونسيب عريضة ورشيد أيوب ولما تأسست الرابطة القلمية سنة 1920 انضم إليها وأصبح عضواً عاملاً فيها . وفي نيسان من عام 1929 أصدر مجلة "السمير" و كانت نصف شهرية، ثم تحولت إلى جريدة يومية سنة 1936 و ظل يصدرها طوال حياته¹.

كان يتمنى العودة إلى الشرق العربي ، إذ سئم الغربة ، و أحسّ أنه في "نيويورك" جسم بلا روح فيقول² .

وبالروح في الشرق على تلك الهضاب

في أسى تشرين ، في لوعة آب

أنا في (لبنان) نجوى وتصابي

وليكن للغير في الأخرى ثوابي

أنا في نيويورك بالجسم

في ابتسام الفجر ، في صمت الدجى

أنا في الغوطة زهر وندى

رب هبني لبلادي عودةً

1: سامي يوسف أبو زيد ، الأدب العربي الحديث (الشعر) ، ص150 .

2: ديوان ، أبي ماضي ، 152 .

وما لبث أن حظي بعودة إلى سوريا ولبنان ، فزار لبنان سنة 1948 بدعوة من الحكومة اللبنانية ، ليمثل هو و الأستاذ حبيب مسعود ، رئيس تحرير مجلة (العصبة) في البرازيل صحافة المهجر في مؤتمر اليونسكو في بيروت و حثفت به الأوساط الرسمية و الأدبية ، فمنحته الحكومة اللبنانية وسامي الاستحقاق و الأرز . و أقيمت له في دمشق حفلة كبرى في 06-02-1946 ، برعاية الرئيس شكري القوتلي ، ونال وسام الاستحقاق الممتاز ، وكان يعتز بذلك التكريم .¹

عاش أبو ماضي حياة عادية ، حيث تزوج من " دورثي نجيب دياب " ورزق منها ثلاثة أولاد وهم : ريتشارد ، وروبرت ، و ثالث مريض ظل مجهول الاسم ، وقد استمرت حياتهم في أمريكا بعد وفاة والدهم²

ولم يكن أبو ماضي في أخريات حياته سعيدا ، حيث عانى ضيقا و ألما سببها فقدان كوكبة من أدباء المهجر على رأسهم جبران خليل جبران و أمين الريحاني و ندره حداد ، فخلت الساحة الأدبية من هؤلاء الأدباء العظماء و عمدت فئة من المتطفلين على الأدب إلى تشويه صورة هؤلاء وهو ما فاقم حزن أبي ماضي إلى حد التفكير في الخلود إلى الراحة لولا مواساة زملائه اللذين كانوا يرفعون من معنوياته من حين إلى حين³

لكن المرض اشتد عليه وعاودته الأحزان فانقطع عن العمل ولزم بيته إلى أن وافاه الموت في الثالث و العشرين من شهر تشرين الثاني ، نوفمبر 1957 .⁴

1: سامي يوسف أبو زيد ، الأدب العربي الحديث (الشعر) ، ص 151 .
2: إيليا أبو ماضي ، الديوان ، شرح حجر عاص ، دار الفكر العربي ، ص 19 .
3: عبد المجيد الحر ، إيليا أبو ماضي ، باعث الأمل ومفجر ينابيع التفاؤل . ص 57.
4: عيسى الناعوري ، أدب المهجر ، دار المعارف ، ط 3 ، ص 371 .

وقد أقيمت لذكراه حفلة تكريمية في الجامعة الأمريكية في بيروت، شارك فيها كبار الأدباء اللغة العربية وشعرائها.

ويبدو من خلال ما ذكرناه أن أبو ماضي كان يعيش إرهاصات التجديد من وحي القديم، ولذا جاءت قصائده خليطاً بين القديم والجديد، إن ثقافة الشاعر في مرحلة نشوءه إنما ثقافة تعتمد على التقليل لتتحسس طريقها إلى أسلوبها المتميز الذي سيعرف لها في المبحث الثاني التالي.¹

2- ثقافة الشاعر:

أبو ماضي من أبرز شعراء الرابطة القلمية إنتاجاً، فله خمسة دواوين شعرية هي تذكارات الماضي، ديوان أبو ماضي، الجداول، الخمائل، وتبر وتراب.

وقد جعلت منه هذه الدواوين شاعراً أصيلاً، لما أدخله من تجديد على قصيدة العربية، اهله لأنه يكون تمهيداً للشعر الحديث

قد صدر ديوانه الأول (تذكارات الماضي) في مصر عام 1911م، ويعد تدريباً على نظم القريض، من شاب يافع لا يملك أدوات الشعر إلا (سليقة قوية)، وذاكرة حادة ومهارة في رصف الكلام والقوافي و ضبط الأوزان، ولا شيء أكثر من ذلك.

وتتابعت دواوينه في المهجر، فأصدر ديوانه الثاني عام 1919م بعنوان (ديوان إيليا أبو ماضي) ثم صدر ديوان (الجداول) عام 1927م بتقديم ميخائيل نعيمة، وقد حظي بشهرة واسعة وديوان (الخمائل) عام 1940م. وأخيراً صدر ديوانه (تبر وتراب) عام 1960م، بعد وفات الشاعر بسنوات ثلاثة، ويغلب عليه شعر المناسبات والموضوعات التقليدية، فكان (ردة مؤسفة حقاً)²

لكل شاعر ثقافته الخاصة، ومصادره التي يستقي منها تلك الثقافة، وإذا أردنا أن نعلم شيء عن ثقافة الشاعر أبو ماضي، فلا بد من العودة إلى دواوينه لننتبين منها ملامح هذه الثقافة ومنابعها ويمكن أن نوجز تلك الملامح ومنابع في جملة النقاط الآتية.

¹ ميرزا زهير، الديوان ص. 15.

² سامي يوسف أبو زيد، الأدب العربي الحديث (الشعر)، 174.

أ- مدرسة التقليد:

لم يكن أبو ماضي ينسخ قصائده الأولى على نحو متفرد وإنما هذا في ذلك حذوا المقلدين وقد اصدر في هذه المرحلة ديوانه الاول تذكار الماضي.

ولم تكن مرحلته الأولى بيئة المعالم فلا هي مالت إلي الماضي ولا تلونت ببياض الحداثة، ولعل هذه الحيرة مصدرها ان الشاعر كان لا يزال يلتمس طريق نحو الشاعرية التي تصدر عن ذات الشاعر ورؤيته الخاصة التي نلمسها فيما بعد في دواوينه اللاحقة فغذا قرأنا له قصيدته التي يقول فيها:¹

سافرت فقلت لها اهذا كوكب
وتبسمت فرايت رما ضاحكا
وتمايلت فالسمهري مصمم
ورنت فابصرت السهام تصوب
قالت اجل وأين مني الكوكب؟
عن لؤلؤ لكنه لا يوهب

وجدتها تلونت بنكهات زمانية متباينة تمتد من العصر الجاهلي بهيكلته التقليدية إلى شذا نسائمه نهضة الشرق:²

ب- مدرسة التجديد:

إشترك أبو ماضي في الرابطة القلمية سنة 1920م وقد كانت الرابط البوابة التي دخل منها إلى التجديد متحررا من قيود التقليد لينطلق في رحاب المدرسة الجديدة، يعيش الجديد بكل رؤاه وآلامه، وبالتالي تحرر في هذه المرحلة من تلك الحيرة.

"حيرة التأرجح بين ما كان وما سيكون إلى اللانهاية من الإلتزام بلون العصر الذي يعيش في ضميره المرافق لكل صغيرة وكبيرة"³

¹ إيليا أبو ماضي، الديوان، دار العودة، بيروت، ص 111

² عبد المجيد الحر، إيليا أبو ماضي باعث الأمل، ص 121

³ المرجع نفسه ص 125

إنه لمن المقطوع به أن هجرة أبو ماضي انخراطه في الرابطة القلمية و مطالعة الآداب الأجنبية المتطورة جعلت من الخصائص الشعرية عند أبو ماضي تختلف تماما عن سابقتها التي لازمته في مرحلة التقليد، وعلى ذلك فإن القصيدة عند أبو ماضي أصابتها عوامل متطورة لتمثل روح العصر في ثوب مناسب، وتتخذ من الآلية الدرامية وسيلة فنية تفارب الحياة في صورتها الطبيعية، ويعد ديوان الجداول خير ممثل لهذه الروح الجديدة حيث وردت فيه قصائد تتضمن أفكار هي وليدة البيئة الجديدة التي إرتبط فيها الشاعر قلبا وقالبا، ويعلق عيسى الناعوري على هذا الديوان قائلا: "وأما الجداول فغني بالقصائد الجياد، التي تعد من عيون الشعر والتي تمتاز بعناها الوافر في الشعور الإنساني وفي الإحساس بالطبيعة والحياة وفي لطف أسلوبها وبعد خيالها وجمال صورها، مما يندر أن يجتمع كله لشاعر واحد"¹

ومن أبرز القصائد التي نعثر عليها في هذا الديوان: الفاتحة، السجينة، الطين، تعالى، في الفقر، المساء، الكمنجة، المحطمة، اليتيم، العالقة، الطلاسم.....² الخ

3-شاعريته:

لم تولد شاعريته أبو ماضي مكتملة ناضجة، بل تدرجت في تطورها حتى باغت صورتها المشرقة وقد ساهمت فيها عدت عوامل في بلوغ هذه، ولعل أبرزها في الرابطة القلمية وتأثره بالمفاهيم الأدبية والنقدية الداعية إلى تجديد وتحريك الأدب من خلال التقليد التي كبل بها.

وقبل الحديث عن الملامح العامة لشعر أبو ماضي في مراحل التحديث نخرج إلى الحديث عن هذه الملامح في المرحلة الأولى مرحلة التقليد والتي تجلت في هكلت القصيدة وضخامة الالفاظ والصناع الشعرية التي إعتمدت الصنعة اللفظية، والذي يطالع الديوان يعثر بسهولة تامة عن العديد من القصائد التي تجلت فيها هذه الخصائص.

وهو ما يدفعنا إلى القول بأن " أبو ماضي كان يحذو حذو الشعراء المتقدمين"³

¹ عيسى الناعوري أدب المهجر، ص372

² الرجوع نفسه، ص258

³

ومن هذه النماذج قوله في قصيدة: لم الديار¹

ما مات أهلها ولم يترحلو

لمن الديار تنوح فيها الشمائل

وقوله في قصيدته: العيون السود²

خلق القلوب الخفقات حديدا

ليت الذي خلق العيون السودا

ويذهب بعض الدارسين إلى ان شعر أبو ماضي تجلت فيه نفحات في زمن التقليد، نفحة نواسيه، وأخرى علانية.

وأما النفحة النواسية تجلت في تقليد طابعه الشعري وفي صورته وتلويناته، وأما النفحة العلانية فتمثلت في محاولة جعل شعره النموذج الذي يحتذيه³

و يمكن ان نلتمس النفحة النواسية في قوله:⁴

يحملها في الروض غصن رطيب

يا صاح كم تفاحة غصتة

ينفي بها أهل الكروب الكروب

ورب صفراء كلون الضحى

كأنها ضبي الكناس الربيب

دارت على الشرب بها عادة

وبين حشائك شوق مذيـب

في طرفك الساجي هيام بها

ويبدو أن سلوك الشعراء في عصر النهضة نهج التقليد هدفه الرغبة في نيل خطوة الناس وبلوغ مرتبة الشعراء المرموقين⁵

ونحن لا ننكر حصول بعض الأخطاء في شعر أبو ماضي وأمثلة هذه الأخطاء يمك الحصول عليها بسهولة في ديوان لكنه من المجحف تعميم الحكم.

إنه من العدل أن ننزل أبو ماضي مكانته الشعرية إذا كيف ننقص من قيمة الشاعر استطاع بعد زمن من الإجتهد والتمرن أن يطلع عليها عاليا بقصائد نلتمس فيها من خصائص الشعرية التي تلحق بنا في الفضاء حياة الرحب بثغور مشرقة، نشيطة وأرجل متحفزة لإنطلاق في ميدان السعادة مع فراشات الربيع، و غزلان القفار وحناجر مستعدة للغناء المرح مع ضفادع الغدران وطيور السماء⁶

¹ إيليا أبو ماضي، الديوان، ص 453

² المرجع نفسه، ص 285

³ ميرزا زهير، الديوان، ص 12

⁴ إيليا أبو ماضي، الديوان، ص 153

⁵ عبد المجيد الحر، إيليا أبو ماضي، باعث الأمل، ص 146

⁶ عيسى الناعوري، أدب المهجر، ص 374

و تجلت هذه الشعاعرية الحرة من قيود التقليد في ما حدده الشاعر من أهداف نبيلة نابغة من ذاته المخلصة، وفيما تجلت فيها من منطلقات أضافت عليها حيوية متدفقة ونشطة، تمثلت في تفاعل الشاعر مع الطبيعة" مستلهمة من أسماؤها وحيوانها وطيرها ونباتها وجمادها، أو بعبارة أخرى من روحها المعبرة"

إن القصيدة عند أبو ماضي هي صورة الحياة لكل نوازغها، ولذلك يجد فيها "كل قارئ صورة نفسه بعواطفه وآماله وآلامه"¹

ولعل صورة هذه الحياة نجدتها واضحة في قصيدته (فلسفة الحياة) كما تجلى قصيدة (الحجر الصغير) وقصيدة (الطين)، وقصيدة (التينة الحمقاء) صورة المجتمع في تركيباته وسلوكاته "وتمتزج هذه المعاني برمنسية الشاعر في الابداع الغنائي ترتبط معها حول الفكرة ذاتها في أحوالها المختلفة من آلام وأحزان وتفاؤل وتشائم واستطاع بهذا التلوين الرمنسي أن يصنع قصائده في موضع الترحيب والقبول"²

ولعل هذه الصورة الأخرى التي رفعت من درجة قبول شعره عند الناس هي صورة الحياة القائمة على التفاؤل ومحاربة اليأس ويبدو ان "التفاؤل نزعة إنسانية عميقة الجذور في نفس الشاعر وإن كان يعلوها بين الحنين وحين غبار الزمن فيخلع في بهاءها وجمالها مسحة من الكآبة والحزن والأسى"³

¹ المرجع نفسه، ص 374

² عبد المجيد الحر، إيليا أبو ماضي باعث الأمل، ص 130

³ ميرزا زهير، الديوان، ص 65 وينظر أيضاً، شوقي ضيف، دراسات في الشعر العربي المعاصر. دار المعارف، مصر ط 6 1970 ص 190

4- دراسة نموذج:

سَمِعَ اللَّيْلُ ذُو النُّجُومِ أَنْيْنًا
فَأَنْحَنَى فَوْقَهُ— كَمَا كَمُتَّرِقِ الْهَمِّ
فَرَأَى أَهْلَهَا نِي— أَمَا كَأَهْلِ الْ
وَرَأَى السُّدَّ خَلْفَهَا مُحَكَّمِ الْبُنْدِ
كَانَ ذَلِكَ الْأَنْيْنُ مِنْ حَجَرٍ فِي السِّدِّ

- أ -

أَيُّ شَأْنٍ— يَقُولُ— فِي الْكَوْنِ شَأْنِي
لَا رُخَامٌ أَنَا فَأَنْحَتَ تِمْتًا—
لَسْتُ أَرْضًا— فَأَرْشَفَ الْمَاءَ أَوْ مَا
لَسْتُ ذُرًّا ثَنًا— أَفِسُّ الْغَادَةَ الْحَسَدِ
لَا أَنَا دَمْعَةٌ، وَلَا أَنَا عَيْنٌ
حَجَرٌ أَغْبَرُ أَنَا، وَحَقِي—
لَسْتُ شَيْئًا فِيهِ، وَلَسْتُ هَبَاءً
لَا، وَلَا صَخْرَةً تَكُونُ بِدَاءِ
ءَ، فَأُزَوِي الْحَدَائِقَ الْغَنَاءِ
نَاءً فِيهِ الْمَلِيحَةَ الْحَسَنَاءِ
لَسْتُ خَالًا أَوْ وَجَنَةً حَمْرَاءِ
لَا جَمَالًا، لِحِكْمَةٍ، لَأَمْضَاءِ

- ب -

فَلَا غَايِرَ هَذَا الْوُجُودِ، وَأَمْضِي
وَهَوَى مِنْ مَكَانٍ— هُوَ يَشْكُو—
فَتَحَ الْفَجْرُ جَفْتَهُ— فَإِذَا الطُّو
بِسَلَامٍ، إِنِّي كَرِهْتُ الْبَقَاءَ
أَرْضَ وَالشُّهْبَ وَالِدُّجَى وَالسَّمَاءَ
فَأَنْ يَغْشَى الْمَدِينَةَ الْبَيْضَاءَ.¹

ديوان الخمائل، من أعمال الشاعر إيليا أبو ماضي، دار كتاب وكتاب، بيروت-لبنان- 624، 198م :
ص37.¹

- مقارنة تحليلية لقصيدة "الحجر الصغي" -

للإنسان مهما كان مركزه في السلم الاجتماعي دورٌ لا يستهان به في هذه الحياة لقد أتاحت هذه الهجرة لأبي ماضي - كما أتاحت لغيره - ثقافة واسعة إذ اطلع على الآداب العربية، وتعمق في دراستها، وجاء شعره مثلاً لهذه الشخصية المتأثرة بالتراثين العربي والغربي، وجاءت موضوعاته جديدة، ذات منحى فلسفي خاص يقوم على التفاؤل، والدعوة إلى الحق والخير والجمال واحترام الإنسان عَظَمَ شأنه أو صَغُرَ في هذه الحياة. ونصه هذا يندرج ضمن هذه النزعة الإنسانية.

- مناسبة القصيدة:

الشاعر بحكم كونه غير مسلم و بحكم وجوده في مجتمع صاخب قد غرق في المادة، الأمر الذي جعل من بعض الأفراد فيه يقدمون على الانتحار نتيجة نظرتهم الضيقة، في كونهم على الهامش الموجود في ذلك المجتمع، و لو أمعنوا النظر في حقيقة أمرهم لعلموا أن كل شخص في المجتمع مهما كان وضعه، له دور مهم جداً لا يمكن الاستغناء عنه

- تلخيص النص:

استهل أبو ماضي النص بتشخيصه الليل، حيث نسب إليه استراق السمع إلى صوت لم يتبين مصدره، وكان قد أرخى سدوله على المدينة البيضاء، فغمرها الظلام، وخيم عليها صوت رهيب، بعد أن نام أهلها، وشُلت فيها الحركة، وقد اتضح لليل - في الأخير - أن ذلك الصوت كان لحجر في السد يشكو وضعه المزري، فهو - كما يقول - لا شيء في هذا الكون الواسع الأرجاء، هو ليس رخاماً، ولا حتى صخرة كبيرة، هو ليس أرضاً ولا ماءً، هو ليس دُرّاً ولا دمعاً و لا زينة، ما هو إلا حجر، صغير حقير، لا جمال فيه ولا حكمة، هكذا استولى القنوط على الحجر فكره البقاء، وغادر السد وإذا بهذا الأخير ينهار، وإذا بالطوفان يجرف المدينة الآمنة.

- دراسة الأفكار :

يلجأ الشعراء الرومانسيون أمثال أبي ماضي - عادة - إلى الطبيعة للتعبير عن أفكارهم فيتعاملون معها على أنها كائن حي، يرى الشاعر فيها نفسه، ويصب فيها همومه وانشغالاته - من هذا المنطلق راح أبو ماضي يعالج قضية اجتماعية خطيرة ألا وهي أهمية الدور الذي يؤديه الإنسان - مهما كان مركزه الاجتماعي - في هذه الحياة، فتخيل مدينة وقد استسلمت للنوم، بعد أن غشيها الظلام، وخلفها سد أحكم بنيانه وتماسكت حجارته المتباينة وزناً وحجماً حتى أصبح كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً - وارتأى الشاعر أن يتفقد أحوال هذه المدينة، فأرسل عليها الليل جاسوساً يتربص حركاتها، وإذا بحجر صغير في السد قد استهان بنفسه، واستصغر قيمته أمام الحجارة الكبيرة التي تنتظم في السد، فلم يلبث أن ترك مكانه، فانفرط تماسك السد، ثم انهار، فجرفت المياه المدينة.

ولا ريب أن الشاعر كان يقصد من وراء هذه الرموز معالجة قضية اجتماعية خطيرة ألا وهي قيمة الإنسان في البنية الاجتماعية.

فالمجتمع كما يدل عليه اسمه يجمع بين فئات متعددة من الناس، فمنهم العالم والطبيب والمهندس والأستاذ والقاضي والتاجر الكبير والإقطاعي والضابط السامي وغير هؤلاء، ومنهم العامل البسيط كالمنظف والحارس وصغار الفلاحين والتجار والجندي وغير هؤلاء من المواطنين البسطاء، غير أن هذه الفئات جميعها كبيرها وصغيرها عليها أن تتعاون فيما بينها، كل في ميدانه، وعلى مستوى العمل المنوط به، وإلا فلا يمكن لأي مجتمع أن يقوم، ولنتصور -مثلاً- أن الفلاح استهان بنفسه، واستصغر قيمته، حين قارن نفسه بالطبيب أو القاضي أو غيرهما من الطبقة الراقية، ماذا يحدث؟

لاشك أن تعطيل العمل الفلاحي سينجر عنه مجاعة عامة - وماذا سيحدث لو انسحب منظف البلدية من الميدان هو الآخر وترك جمع القاذورات؟ لا ريب أن

الأوساخ ستتراكم في الشوارع، وتتعفن وينجر عنها أمراض وأوبئة، ناهيك عن الروائح الكريهة التي ستعم المدينة.

هكذا يبدو جلياً أن التعاون لابد أن يطبع العلاقات الاجتماعية، وقديماً وَقَّقَ الشاعر أيّما توفيق عندما أشار إلى هذا التعاون، فقال:

الناس للناس من بدوٍ وحاضرةٍ بعضٌ لبعضٍ وإن لم يشعروا خدماً

- هذا الذي رمز إليه أبو ماضي بالحجر الصغير في السد، أما السد فهو المجتمع، وأما الحجر الصغير فهو ذلك الإنسان البسيط، وأنه إذا ما أصاب اليأس والقنوط أولئك البسطاء والضعفاء سرعان ما يتخلون عن دورهم في المجتمع فيختل توازنه ويسقط، وقد لا تقوم له بعد ذلك قائمة.

وقد عبرت أفكار النص عن اهتمام الشعراء المعاصرين بقضايا المجتمع وهمومه وقد اتخذت الرموز وسيلة للدعوة إلى الإصلاح، وابتعدت بذلك عن

الأسلوب المباشر الذي لا يتلاءم وروح الشعر، فلو قال الشاعر مثلاً: ترك المواطنون البسطاء دورهم في المجتمع، فسقط ذلك المجتمع،

وتدهورت أحواله لو قال هذا عوضاً عن الأبيات الثلاثة الأخيرة لما استطاع أن يؤثر فينا ويجعلنا نتعاطف مع بسطاء الناس، مثلما نتعاطف مع الحجر الصغير.

والأفكار واضحة رغم مجيئها في قالب رمزي، وهي مترابطة متلاحمة كونت وحدة عضوية، لا سبيل فيها إلى التقديم أو التأخير.

-العاطفة:

نقول قد سادت النص عاطفة إنسانية صادقة، ودليل ذلك أن الشاعر قد استطاع أن يجعلنا نتجاوب معه في رثائه لهذا المسكين الذي رمز له بالحجر الصغير.

- دراسة الأسلوب :

يلجأ الشعراء أحياناً إلى التعبير عن أفكارهم عن طريق الرمز والإيحاء،
ويبتعدون عن التصريح عن أفكارهم. ومن المعلوم أن هذا اللون من التعبير
يدفع القارئ إلى حب الاستطلاع وفك الرموز، يقول أحد النقاد في هذا الصدد "
إن الشاعر إذا استقى الشيء باسمه أفقد القصيدة ثلاثة أرباع المتعة".

وقد اختار أبو ماضي لعرض أفكاره السابقة الأسلوب القصصي، واختار لذلك
لغة بسيطة موحية مثل الألفاظ التالية: سمع، النجوم، المدينة، السد الخ....

وقد اقتضى الأسلوب الرمزي توظيف الخيال ، فإذا بالليل يستحيل إنساناً،
والحجر الصغير يصبح كائناً حياً هو الآخر يئن ويشكو ويكره.....والفجر يفتح
جفنيه ويصحو من نوم عميق، وهي كلها استعارات مكنية ، إذ كل من الليل
والصخر والفجر مشبه والإنسان مشبه به محذوف فيها جميعاً، وهكذا نجد أبا
ماضي قد أحيا ما لا حياة له وهذا ما يسمى بالتشخيص ، ذلك لأن الرومانسيين
يؤمنون بأن حدود النفس لا تقف عند العقل والجماد والمعنويات - في رأيهم -
حديثاً تخاطب به البشر وتحاورهم. وقد جاء القسم الأول من النص حافلاً
بالتشبيه ، كما هو واضح في الأبيات : 2،3،4، أمّا البديع (كالتطابق والمقابلة
والجناس.....) فلم يهتم به الشاعر كثيراً لأن اهتمامه كان منصباً على الفكرة لا
على الزخرف اللفظي والمحسن المعنوي.

غلب الأسلوب الخبري على النص لملائمته السرد القصصي ، وكان غرضه
البلاغي . -غالباً- إبداء الحسرة والعطف على الحجر الصغير ، وعلى النهاية
المفجعة للمدينة. أما الأسلوب الإنشائي فكان منه الاستفهام والأمر، أما
الاستفهام فهو قوله : أي شيء - يقول في الكون شأني؟ وغرضه الأدبي الحسرة
والقنوط، وأما الأمر فهو قوله : " فلأغادر هذا الوجود" وغرضه الأدبي هو أن يأس
الحجر الصغير قد بلغ ذروته فأثر الانسحاب.

و القصيدة من بحر الخفيف و أجزاءه هي :

فَاعِلَاتُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلَاتُنْ فَاعِلَاتُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلَاتُنْ

- مثال:

سَمِعَ اللَّيْلُ ذُو النُّجُومِ أُنَيْنًا

وَهُوَ يَغْشَى الْمَدِينَةَ الْبَيْضَاءَ.

وَهُوَ يَغْشَى مَدِينَتَهُ بَيْضَاءَ

0/0/0/ 0//0// 0/0//0/

سَمِعَ لِيْلُ ذُو نُجُوْمِ اُنَيْنِنُ

فَاعِلَاتِنْ مَتَفَعَلِنْ فَعَلَاتِنْ

0/0// 0//0 // 0/0///

فَاعِلَاتِنْ مَتَفَعَلِنْ فَعَلَاتِنْ

- الأحكام و القيم:

إن القيم كانت من أبرز أحكام النص ، ذلك أن هذا السد الذي يتحدث عنه الشاعر يمكن أن يرمز إلى أي مجتمع في العالم ، كما يمكن أن يرمز إلى المجتمع الإنساني بصفة عامة - كما أن المدينة في النص يمكن أن تكون أية مدينة في هذا العالم ، وهكذا...



خاتمة



- خاتمة :

الشعر العربي المعاصر، بما هو إبداع فني و إدراك جمالي للحياة، مشروطا تاريخيا و فنيا بوجود سابق إبداعي، يتمثل فيما أنجزته البشرية على مر العصور من تراث فني و فلسفي عريقين على المستويين العربي و الغربي.

حيث حظي الشعر المهجري بعناية الدارسين و نقاد الأدب العربي و مزال كذلك و لهذا الأدب محبوه و متذوقوه فقد كان فتحا في أدبنا الحديث . وقد حمل الشعر المهجري صرحا جديدا من الأدب الخلاق المتميز بصدق الشعور و نزعة التجديد و الغيرة على حاضر الأمة و مستقبلها و هذا ما غير ما حمله من قيم إنسانية.

ومن هنا كان من الضروري البحث في معالجه لظاهرة المدينة في الشعر المهجري و تتبع الإرهاصات و بؤادر ظهورها ، و تنوع المواقف منها بقراءة بعض فواصلها المرجعية و الدلالية في إنتاج الثقافة البشرية و تحديدا على المستوى الشعري . قد طرح له طرعا و اعياءنا فيه البحث عن جذور هذه الظاهرة، و معرفة مدى التطور الذي عرفته عبر صيرورتها التاريخية

فانتشار فكرة المدينة كظاهرة معنوية في شعرنا العربي الحديث و المعاصر ، بهذه الكيفية لم يكن محض صدفة ، تزامنت مع الانبعاث القومي و مستلزماته ، و تعقد الحياة فيه .

و لذلك فالشعر المهجري لم يتناول المدينة على أساس أنها كيان مادي فحسب كما هو الشأن في كثر الأحيان عند الشاعر العربي بل أنها غدت عند نقطة ارتكاز مهمة لتفجير هموم أبع من كيانها المادي ، فهي تفجر أحزان الواقع العربي بكل تجلياته ، من انكسارات قديمة ، و هزائم و تراجعات معاصرة .

وقد استطاع إيليا أبو ماضي من خلال صورته الفنية المعتمدة على اللون و الصوت و الحركة أن يرصد واقع المدينة ، و يظهر ملامحها ، و وجهها الذي تتميز به . وقد اتخذها عن محطة وقف لرصد واقع الأمة ، وإدانة تلك الأمة و الحكام العرب المسؤولين ذلك الواقع الرديء الذي تحياه تلك المدن ، وبالرغم من ذلك إلا أن إيليا أبو ماضي قد التحم بالمدينة و حمل همومها و شاركها قضاياها.

قائمة المصادر والمراجع:

- 1- أبو عوض أحمد والفرابي عبد اللطيف، الحركات الفكرية والأدبية في العالم العربي الحديث.
- 2- أحمد الشايب، أصول النقد الأدبي (القاهرة-مكتبة النهضة المصرية 1964)
- 3- أحمد عبد المعطي حجازي، الديوان
- 4- أدونيس، مقدمة للشعر العربي دار العودة، بيروت ط4
- 5- ألدوفان إيك: بعض التعليقات على منعطف حافل بالدلالة (معنى المدينة)
- 6- إحسان عباس، اتجاهات الشعر العربي المعاصر-مطابع دار القبس-كويت 1978م
- 7- إبراهيم رماني، المدينة في الشعر العربي، الجزائر نموذجاً 1925م/1962م
- 8- ابن خلدون، المقدمة، ج 2
- 9- ابن قتيبة: الشعر والشعراء، دار إحياء العلوم، ط2، 1986م
- 10- ابن منظور، لسان العرب، مادة (مدن) ج 402/13
- 11- جبرا إبراهيم جبرا: النار والجوهر: دراسات في الشعر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط3، 1982م
- 12- حسين رشوان، المدينة دراسة في علم الاجتماع الحضري
- 13- خليل البرهومي، إيليا أبو ماضي: شاعر السؤال والجمال (بيروت: دار الكتب العلمية 1993م)
- 14- د/فوزي ميري نجار: مقدمته: لكتاب السياسة المدنية الملقب بمبادئ الموجودات المطبعة الكاثوليكية، بيروت 1964م
- 15- دولت أحمد صادق ومحمد السيد غلاب، جغرافية السكن

- 16-ديوان أبي ماضي
- 17-زهير ميرزا، أبو ماضي شاعر المهجر الأكبر
- 18-سامي يوسف أبو زيد، الأدب العربي الحديث (الشعر) "الطبعة الأولى
(1435هـ/2041م)
- 19-السيد حنفي عوض سكان المدينة بين الزمان والمكان
- 20-صلاح فضل، علم الأسلوب مبادئه وإجرائه(القاهرة، دار عالم المعرفة 1993م)
- 21-طريف الخالدي، فكرة المدينة في صدر الإسلام-دراسات في تاريخ الفكر العربي
الإسلامي ط2-دار الطليعة، بيروت 1979م
- 22-الطاهر أحمد مكي، الشعر العربي المعاصر روائعه ومدخل لقراءته(القاهرة، دار
المعارف ط1، 1980م)
- 23-طه أبو كريش، في ميزان النقد(القاهرة: مكتبة النهضة.د.ب.ت)
- 24-طه شداد، الأدب المقارن(د.م.ن:دار المعان 1980م)
- 25-عبد الحكيم بليغ، دراسات في الشعر المهجري(القاهرة، كلية دار العلوم 1967م)
- 26-عبد الله العيلاني، لسان العرب المحيط (بيروت، دار الجيل 1997م)
- 27-عبد القادر القط: الشعر الإسلامي الأموي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر،
بيروت 1979م
- 28-عبد الله الشمالي، دراسات في تاريخ الفلسفة العربية الإسلامية وآثار رجالها
- 29-عبد الله المجيد الحر-إيليا أبو ماضي-باعث الأمل ومفجر ينباع التناول
- 30-عز الدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر، قضاياها وظواهره الفنية.

- 31- علي ابن الحزم-طوق الحمامة-القاهرة 1967م
- 32- علي جعفر العلاق، المدينة في الشعر، دراسة في موقف الشاعر العراقي الحديث من المدينة ع5، 1986م
- 33- عيسى الناعوري "أدب المهجر"
- 34- الفارابي : آراء أهل المدينة الفاضلة، دار المشرق، ش.م.م، بيروت ط5، 1986م
- 35- قادة عقاق، دلالة المدينة في الخطاب الشعري العربي المعاصر، من منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق 2001م
- 36- كمال نشأت، شعر المهجر(القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة 1966م)
- 37- لويس مفرد، المدينة على مر العصور
- 38- محمد أحمد غنيم، المدينة، دراسة في الأنثولوجيا الحضرية
- 39- محمد حسن عبد الله، مقدمة في النقد الأدبي(الكيت، دار البحوث العلمية، 1295هـ/1975م)
- 40- محمد رضا الشيبلي: أدب المغاربة والأندلسيون، في أصوله المصرية ونصوصه العربية ط2
- 41- المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب م288/6
- 42- محمد عاطف غيث، علم الاجتماع الحضري، مدخل نظري
- 43- مختار علي أبو غالي، المدينة في الشعر العربي المعاصر
- 44- مناف منصور، الإنسان وعالم المدينة في الشعر العربي الحديث
- 45- محمد عبد المنعم خفاجي، مدارس النقد الأدبي الحديث(القاهرة، الدار المصرية اللبنانية 1416هـ/1965م)

46-نادرة السراج، شعراء الرابطة القلمية

47-نبيلة لوبيس، المعين: في الأدب العربي وتاريخه(جاكرتا، كلية الأدب والعلوم

الإنسانية جامعة شريف هداية الله الإسلامية الحكومية، 2005م)

48-نظمي عبد البديع، أدب المهجر بين أصالة الشرق وفكر الغرب(القاهرة دار الفكر

العربي، د.ت)

49-هاني الخير، إيليا أبو ماضي، شاعر الحنين والأحزان

مصادر من القرآن الكريم:

1-سورة الكهف

2-سورة طه

- فهرس:رس:

- شكر و عرفان

- الإهداء

- مقدمة.....10

- مدخل: نشأة المدينة في التراث العربي والإسلامي....13

* الفصل الأول: مصطلح المدينة.....22

1- مفهوم المدينة (لغة واصطلاحاً).....23

2- نشأة المدن ونموها.....27

3- موقف المفكرين من المدينة.....29

4- المدينة في الشعر العربي الحديث.....31

* الفصل الثاني: شعر المهجر.....37

1- لمحة عن شعر المهجر.....38

2- مفهوم شعر المهجر ونشأته.....40

3- مسيرة أدب المهجر.....42

- 4- الرابطة القلمية ومؤسسيها.....45
- * الفصل الثالث: أبو ماضي حياته وشعره (تطبيق)...50
- 1- حياته.....51
- 2- ثقافة الشاعر.....56
- 3- شاعريته.....59
- 4- دراسة نموذج.....62
- خاتمة.....69
- قائمة المصادر والمراجع.....70
- فهرس الموضوعات.....74

